الجمهوريـة الجزائـريـة الديمقراطيـة الشعبيـة
République Algérienne Démocratique et Populaire
وزارة التعليـم العالـي والبحـث العلمـي
Ministère de l'Enseignement Supérieur et de la Recherche Scientifique

المركز الجامعي عبد الحفيظ بوالصوف لميلة
معهد الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

المرجع: .....

حدود الواقع والمتخيل في رواية "لاسكاكين في مطابخ هذه المدينة" لـ: خالد خليفة دراسة لغوية

مذكرة معدة استكمالا لمتطلبات نيل شهادة الماستر

الشعبة: لغة عربية

التخصص: لسانيات عربية

إعداد الطالبة:
*- مفيدة تروش

إشراف الدكتورة:
وهيبة جرّاح

السنة الجامعية: **2018/2017**

كلمة شكر

الحمد لله العظيم رب العرش العظيم تبارك وتعالى اسمه وجل جلاله به تتم النعم كافة ظاهره وباطنه

وأتوجه بصدق الوفاء والإخلاص بكل الشكر والعرفان إلى الدكتورة "وهيبة جراح" التي تفضلت بالإشراف على هذا البحث وقدمت لي النصح والتوجيه

كما أوجه شكري للأستاذ معاشو بوشمة،

و الأستاذ الزبير بن سخري كما لا يفوتني تقديم شكري

إلى السَادة أعضاء اللجنة المناقشة

على مناقشتهم لبحثي، وكافة أساتذة كلية الآداب دون استثناء

فإليكم أساتذتي الأفاضل

أسمى احترامي وتقديري.

الإهداء

إلى الغالي بابا الذي لا تفارق وجهه الابتسامة

وإلى العزيزة ماما التي لا تمل الإرشاد والاهتمام

إلى اخوتي "موسى" و "حسام الدين" "هشام وزوجته عائشة"

إلى أخواتي "مايا" و "هبة" و"سماح"

وإلى وردة حياتي "ياسمينة" وابنها "أيهم"

وإلى "خطيبي عبد المالك"

وإلى عائلتي الكبيرة دون استثناء

وإلى رفيقات مشواري الدراسي وأساتذتي

تحية تقدير واحترام

مفيدة

مقدمة

رغم حداثتها في الأدب العربي استطاعت الرواية أن تحتل مكانة مرموقة بين الأجناس الأدبية العربية، فقد تطورت عبر تاريخها حتى أصبحت تستقطب اهتمام الكتاب والقراء والنقاد لأنها تعالج الواقع بكل حيثياته، وكذلك النفس البشرية وما يمرر فيها، وقد تنوعت أساليبها وتقنياتها من الرواية التقليدية إلى الحديثة متفاعلة مع الأحداث والوسط الذي تدور فيه هذه الأحداث لكي تصل في النهاية إلى نتيجة اجتماعية أو سياسية أو فلسفية إلى غير ذلك، فحاجة الإنسان إلى رواية الأحداث التي تقع له ودفع الآخرين إلى مشاركتها هو نقل تجاربه وأحاسيسه إلى الآخرين وهي من الحاجات الفطرية للإنسان الذي ينقل فيها حاجته إلى العالم الخارجي عن طريق طرح الأفكار والاستنتاجات والاكتشافات العلمية والعقلية، إلا أن الإنسان يبقى رهن خياله الذي يعتبر المحرك الخفي لكل إبداع والذي لا ولم ولن يفارقه حتى في أشد لحظات تفكيره والخيال جوهر كل إبداع علمي وأدبي.

أنتج الخيال المبدع للبشرية جمعاء تحفا فنية، ما تزال ذكراها خالدة إلى اليوم سواء في الفنون الجميلة كالنحت والموسيقى أو في الآداب بصورة أخص فجميع الأعمال الإبداعية العالمية الراقية التي ماتزال تقرأ وتمثل وتشاهد هي من إنتاج الخيال، وبدافع الشغف الكبير للإطلاع على النصوص الأدبية للكاتب السوري خالد خليفة، فقد اخترت واحدة من رواياته لتكون محل دراسة ونقاش وهي "رواية لاسكاكين في مطابخ هذه المدينة" وكان موضوع بحثي موسوما **بحدود الواقع والمتخيل في رواية لاسكاكين في مطابخ هذه المدينة لخالد خليفة** وقد جاء اختياري لهذا الموضوع تلبية لرغبة ذاتية خاصة وهي ميلي لفن الرواية عموما وهذه الرواية خصوصا، لأنه لا يقدم الواقع بشكل نثري، إنما يمزجه بالخيال لينتج فنا روائيا جميلا.

ومن خلال إطلاعي على هذا الموضوع أجد نفسي أمام عدة تساؤلات هي:

ماذا نعني بالواقع بالمتخيل؟ وماهي المفاهيم التي يتقاطع معها مفهوم المتخيل؟ وما العلاقة بين الواقع والمتخيل؟ وما سبب اللجوء إلى المتخيل؟ وما هو دور المرجعيات الثقافية في بناء الواقع في الرواية؟ وكيف تمّ تشكيل فضاء المتخيل في الروية وما هي تجاوزات الواقع؟

وقسمت هذه الدراسة إلى مقدمة وفصلين:

أما الفصل الأول المعنون بـــ **الواقع والمتخيل** تناولت فيه مفهوم الواقع والمتخيل والمصطلحات التي يتقاطع معها مفهوم المتخيل ثم بينت العلاقة بين الواقع والمتخيل وسبب اللجوء إلى المتخيل، إضافة إلى مفهوم الرواية لغة واصطلاحا ثم نشأتها ونظرة النقاد إليها.

أما **الفصل الثاني:** المعنون بـــ **الواقع والمتخيل في الرواية** تناولت فيه:

- دور المرجعيات الثقافية في بناء الواقع في المجتمع، إضافة إلى فضاء المتخيل في الرواية وتجاوزات الواقع، دلالات المرأة والجنس والمكان.

لأنهي البحث بـــ **خاتمة** كانت عبارة عن جملة استنتاجات مبسطة عن هذه القراءة واعتمدت في دراستي لهذا الموضوع المنهج الوصفي التحليلي والمنهج التاريخي.

أما عن أهم المصادر والمراجع المعتمدة أذكر منها فضاء المتخيل مقاربات في الرواية لحسين خمري، المتخيل في الرواية الجزائرية من المتماثل إلى المختلف للدكتورة آمنة بلعلى.

وقد واجهتني الصعوبات التي طالما واجهت الباحثين والدارسين أغلبها لا تستحق الذكر إلا أنني أذكر منها قلة المصادر والمراجع التي تتناول الواقع والمتخيل في الأدب الروائي العربي الحديث.

ختاما أتقدم بأجمل كلمات الشكر لله أولا ثم للدكتورة المشرفة "وهيبة جراح" التي لولاها لما كان البحث يرى النور بالعمل الجاد ولم تبخل علي بالنصائح والإرشادات وكل ذلك من أجل أن يخرج هذا البحث بأقل أخطاء.

والشكر موصول إلى كل من ساهم في إنجاز هذا البحث دون استثناء.

الفصل الأول: الواقع والمتخيل

المبحث الأول: تحديدات ومفاهيم

1- مفهوم الواقع

أ. لغة

ب. اصطلاحا

2- مفهوم المتخيل

أ. لغة

ب. اصطلاحا

3- بين الخيال والتخييل والمتخيل

4- علاقة المتخيل بالواقع.

5- سبب اللجوء إلى الخيال.

المبحث الثاني: في الرواية العربية

1- مفهوم الرواية

أ. لغة

ب. اصطلاحا

2- نشأة الرواية العربية.

3- الرواية في نظر النقاد.

4- الواقع والمتخيل في الرواية

تمهيد

عرفت الرواية العربية مند نشأتها عدة تطورات حيث أصبح الروائي لا ينقل الواقع نقلا حرفيا خارجيا بحيث يكون مطابق للواقع بل اعتمد عنصر الخيال، فأصبح يتميز برؤى جمالية وفكرية خاصة به وأنا في هذا البحث أعالج موضوع الواقع والخيال في الرواية العربية من خلال رواية لا سكاكين في مطابخ هذه المدينة، وفي دراستي هذه ينصب اهتمامي في هذا البحث على مصطلحي الواقع والمتخيل كون الأدبي ينطلق من الواقع ليحوله إلى فن بواسطة الخيال.

المبحث الأول: تحديدات ومفاهيم

أولا: مفهوم الواقع:

أ/ لغة:« الواو والقاف والعين أصل واحد يرجع إليه فروعه يدل على سقوط الشيء يقال وقع الشيء وقوعا فهو واقع، والواقعة القيامة لأنها تقع بالخلق فتغشاهم والوقعة صدمة الحرب» [1]

وجاء في لسان العرب:« وطائر واقع إذا كان على شجرة أو موكبا، قال الأخطل:

كأنما كانوا عرابا واقعاً فطار لمَّا أبصر الصَّواعقا

ووقع الطائر يقع وقوعا، والاسم الوقعة نزل عن طيرانه فهو واقع»[2]دلّ على نزول الطير على الأرض.

وجاء في معجم الوجيز الواقع هو:« الأثر يقال: سمعت وقع المطر وكان لهذا وقع في نفسي(...) والوقائع الأحداث والأحوال مفرده وقعه»[3]الواقع هنا دلّ على حصول الشئ وثبوته.

أما في معجم الوسيط الواقع الذي ينفر الرحى(...) يقال أمر واقع، وطائر واقع إذا كان على شجر أو نحوه، وقوع ووقع، ويقال إنه لواقع الطير أي ساكن لين[4] أي سقط الطائر من الشجرة.

نلاحظ من خلال إطلاعنا على التعريف اللغوي لكلمة الواقع في بعض المعاجم اللغوية العربية أنها تكاد تجمع على معنى واحد هو نزول عن الطيران أو بمعنى الصدمة والحرب.

---

[1] أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، تحقيق وضبط عبد السلام هارون، (د،ط)، (د،ب)، ج6 ص133، 134.

[2] ابن منظور، لسان العرب، ضبطه وتفحه، د، خالد رشيد القاضي، من مادة وقع، ط1، دار صبح، لبنان، ج2 ص359-360.

[3] بتصرّف: مجمع اللغة العربية، معجم الوجيز، ص687 .

[4] ينظر: مكتبة الشروق الدولية، معجم الوسيط: ط4، 2004، ص1050، 1051.

ب/ اصطلاحا:

يعرف مصطلح الواقع بأنه:« عبارة عن شبكة من العلاقات المادية، والإنسانية والاجتماعية، والحضارية، والثقافية، والاقتصادية، والسياسية»[1]فالواقع تتحكم فيه شروط ذات حضور قوي في شبكة العلاقات التي تدلّ على عالمنا الحقيقي، حيث يصور الروائي أحداثه الحقيقية التي تكون قد وقعت في جميع المجالات الحياتية، والواقع هو عالمنا الحقيقي الذي نتصرف فيه على هوانا ونواكب فيه جميع تحولاته الشكلية والمعنوية، وهو الحياة بجميع جزئياتها.

ويعرف أيضا بأنه: « إفراز لوجود الإنسان من خلال الواقع وما هو إلا تعبير عن ذاته وأشيائه في أوساط جماعة تحمل من خلاله كلاما، ليتحول بدوره إلى كتابة للتعبير»[2] فالواقع هنا هو ما يدور خارج النص أي في العالم الخارجي غير مرتبط بالنص فهو أقرب ما يكون إلى الوعي بالوجود الإنساني في علاقاته بالآخر في محيطه، نلاحظ من خلال هذه التعريفات المقدمة لمصطلح الواقع أنها تنظر إلى الواقع بأنه تلك الحياة الطبيعية التي يعيشها الإنسان في محيطه وبيئته بجميع مجالاتها وأن كل العوامل المكانية والثقافية.

ثانيا: مفهوم المتخيل.

أ/ لغة: المتخيل هو« من أصل خيل (خ، ي، ل) أصل واحد يدل على حركة في تلون، فمن ذلك الخيال، وهو الشخص وأصله ما يتخيله الإنسان في منامه لأنه يتشبه ويتلون، ويقال خيلت للناقة إذا وضعت لولدها خيالا يفزع منه الذئب فلا يقربه ويقال مخيول إذا وقع الأخيل في عجزه(...) ويقال تخيلت السماء إذا تهيأت للمطر ولابد أن يكون عند ذلك تغير لون والمخيلة السحابة والمخيلة التي تمد بمطر أما قولهم تخيلت على الرجل تخييلا إذا وجهت التهمة إليه»[3] جاء بمعنى الوهم وتوجيه التهمة.

---

1 حسين خمري، فضاء المتخيل مقاربات في الرواية، ط1، منشورات الإختلاف، (د،ب)، 2002 ، ص40.

[2] محمد برادة وآخرون، الرواية العربية ممكنات السرد، ندوة مهرجان القرين الثقافي الحادي عشر2004 الكويت ط1 المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ص352.

3أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا، المقاييس العربية، ج2، ص235، 236.

وجاء في معجم الوجيز«الخيال الطيف وما تشبه لك في اليقظة والمنام من صور ومن كل ما تراه كالظل(...) المخيلة القوة العقلية التي تخيل الأشياء وتصورها».[1]جاء بمعنى التصور.

وجاء في معجم الوسيط « الخيال الشخص، والطيف وما تشبه في اليقظة والمنام من صورة وصورة تمثال في المرآة ومن كل شيء ما تراه كالظل، وخشبة ينصب عليها كساء أسود في المزروعات يفزع بها».[2]جاء بمعنى الظل أو التمثال الذي يوضع في المزرعة لإخافة الطير.

وجاء في أساس البلاغة للزمخشري أن مصطلح أو المتخيل ويدل على الوهم والظن والتهمة فيقول:« وخيل إليه أنه دابة فإذا هو إنسان وتخيل إليه وافعل ذلك على ما خيلت أي على ما أرتك نفسك وتشبهت وأوهمت(...) وأخطأت في فلان مخيلتي أي ظني(...) وخيل علينا فلان أدخل علينا التهمة»[3]يدلّ على الظنّ الشبه.

أما في لسان العرب فقد جاء في مادة:« خيل: خال الشيء يخال خيلا وخيلة وخالا وخيلا وخيلانا ومخالة ومخيلة وخيلولة: ظنه وفي المتخيل من يسمع يخل يظن»[4]

نلاحظ من خلال هذه التعاريف أنها تتفق فيما جاء من مادة خيل، يدل على الظن والوهم والطيف وأن هذه المعاجم، لم تتطرق كلمة المتخيل بل بقيت قريبة منها دون أن تذكرها.

ب/ اصطلاحا:

يعرف المتخيل بأنه:« بناء دهني، أي إنه إنتاج فكري بالدرجة الأولى أي ليس إنتاجا ماديا»[5] فالمتخيل نابع من تصورات الكاتب وإنتاجاته الفكرية يحاول فيه خلق أسباب

---

[1] مجمع اللغة العربية، معجم الوجيز، (د،ط)، (د.ت)، ص2017. (بتصرف).

[2] مجمع اللغة العربية، معجم الوسيط، ط4، مصر، 2004، ص266.

[3] أبو القاسم محمود بن عمر الزّمخشري، أساس البلاغة، (د،ط)، (د.ت)، ص290.

[4] ابن منظور، لسان العرب، مادة خيل، ضبطه وتفحه، د، خالد رشيد القاضي، ط1، دار صبح لبنان، 2006 ج4 ص258.

[5] حسين خمري، فضاء المتخيل مقاربات في الرواية، ص43.

وظروف تؤدي إلى نتائج معينة وذلك للتعبير عن واقع معين مستعملا في ذلك رموز وإيحاءات لغوية، فهو:« عبارة عن بناءات لغوية، هذه البناءات تحاول قدر الإمكان احتواء الواقع أو محاكاته أو التعبير عنه»[1] في إطار فني يساعد على خلق تصورات جمالية يقترب الكاتب بالمتلقي ويؤثر فيه من جهة، ويقترب بها من الواقع الملموس من جهة أخرى.

وتعرفه آمنة بلعلى بأنه: «وسيلة لإثارة أشياء غير موجودة بواسطة اللغة أو محاكاة أشياء موجودة، أو إثارة نوع من الإيهامات أو التمثيلات التي تتوجه إلى الأشياء وتربطها باللحظة التي تمثلها فيها الذات»[2]ونفهم من هذا التعريف أن المتخيل يؤثر في المتلقي ليوهم بواقعية النص، وذلك بواسطة اللغة عن طريق الربط بين أشياء خيالية غير موجودة وأخرى واقعية.

ويعرف المتخيل بأنه: «خزان رمزي مليئ برأس المال الثقافي وبجملة من الشخصيات والأحداث والتصورات والرموز والدلالات»[3]التي يكتسبها الفرد من خلال تفاعله في المجتمع فهو مجال واسع وغير محدود.

ويرى لودري أن المتخيل«مرتبط بشكل حميمي بالعقل والمعرفة والأمر الذي يعني أنه لا توجد معرفة تخييلية صرفه، لأن كل معرفة هي معرفة عقلية في بنيتها أو طبيعتها، وما المتخيل إلا وسيلة لتفعيل وتحسين تلك الماهية»[4] نستنتج من هذا أن المتخيل ذو بعد عقلي معرفي، فلا عقلاني وحده ولا متخيل وحده قادر دون الآخر أن ينتج معرفة لأنها تكتسب بالفهم.

---

[1] حسين خمري، فضاء المتخيل مقاربات في الرواية، ص45.

[2] آمنة بلعلى، المتخيل في الرواية الجزائرية من المتماثل إلى المختلف، دار الأمل،(د،ط)، (د،ت)، ص17-18.

[3] نادر كاظم، تمثيلات الآخر صورة السود في المتخيل العربي الوسيط، ط1، دار فارس2004، ص22.

[4] آمنة بلعلى، المتخيل في الرواية الجزائرية من المتماثل إلى المختلف، ص19.

ثالثا: بين الخيال والتخييل والمتخيل:

يتداخل مفهوم المتخيل مع مجموعة من المصطلحات من جدره "خيل" هي، الخيال والتخييل ولكن لكل واحد منهم خصوصية خاصة به وذلك بحسب مرجعيات توظيفها فالخيال يمنح الوقائع والأحداث والشخصيات أبعادا مختلفة من خلال الواقع باعتباره أحد أسرار الفن الروائي.

«والخيال كقدرة سحرية خلاقة يولد العالم الملموس وينتج الفكر، بأشكال وألوان والعالم كمتخيل»[1] أي أن الخيال يولد من العالم الواقعي عالم خيالي سحري مستمدّا عناصره من العالم الواقعي.

وقد اهتم اليونان قديما بكلمة الخيال ولكن اهتمامهم كان متعلقا بعقيدته حيث يقول عنه سقراط أنه نوع من " الجنون العلوي"، واستمر هذا الاعتقاد مع أفلاطون الذي كان يؤمن بأن الإلهام ضرب من الجنون ووصف العقليون فيما بعد الخيال بأنه تلك الملكة الفوضوية التي لا تراعي قانونا والتي هي أم الجنون والأحلام والأوهام والحمى ولكن سرعان ما تغيرت هذه النظرة إلى الخيال وأصبح ينظر إليه على أنه نوع من العاطفة والرومانسية فمصطلح الخيال قديم في الدراسات الأدبية وقد عرف تغيرا دلاليا عبر الحقب التاريخية حيث تناوله اليونان على أنه ضرب من الجنون والوهم، وتغيرت النظرة إليه مع ديكارت وغيره من أصحاب النزعة العقلية، الذين نفو دور الخيال لأنه في نظرهم ينفي العقل ويلغيه ووصفوه باللامنطقية ثم استعاد هذا المصطلح أهميته حيث أقر النقاد بدور الخيال في الأدب والفن.[2]

أما مصطلح التخييل فنجده في التراث العربي حيث يعرفه الجرجاني بأنه« ما يثبت فيه الشاعر أمر هو غير ثابت أصلا، ويدعى دعوة لا طريق إلى تحصيلها ويقول قولا يخدع فيه نفسه ويريها بما لا ترى[3]» وهذا يعني أن يقوم بخداع نفسه وذلك من خلال

---

[1] د آمنة بلعلى، المتخيل في الرواية الجزائرية من المتماثل إلى المختلف، ص20.

[2] ينظر: د محمد زكي العشماوي، دراسات في النقد الأدبي المعاصر، طبعة دار الشروق الأولى، (د.ب)، 1994 ص245-246.

[3] الإمام أبي بكر عبد القادر بن عبد الرحمان بن محمد الجرجاني النحوي، أسرار البلاغة، تحقيق محمود محمد شاكر دار المدني، جدة، جمادى الأولى1412ه-1991م، ص121.

استعماله للتخييل ويوهمنا بما هو ليس حاصل ولهذا لا تحكم على الشاعر بأنه صادق أو كاذب لأن التخييل هو الايهام والخداع.

ويشير الكندي إلى مفهوم التخييل على أنه التوهم ويعرفه كالآتي« التوهم أو الفانطاسيا قوة نفسانية ومدركة للصور الحسية مع غيبة طينتها»[1] أي هنا وضع كل من التخييل والتوهم والفانطاسيا في مستوى واحد ولهم نفس الدلالة وهي القوة الذهنية أو النفسية الداخلية والتي تكمن في استحضار الصور بعد غياب مرجعيتها المادية.

أما عن المتخيل فقد عرّفه نادر كاظم في كتابه تمثيلات الآخر صورة السود في المتخيل العربي الوسيط حيث يقول: « أنه مفهوم معقد وذو مدلولات متسعة وله امتداداته في كل من النقد الأدبي والأنثربولوجيا وعلم التاريخ الحديث (أي ما يعرف بتاريخ العقليات) وعلم النفس الإجتماعي »[2] والمتخيل بمعناه يمتدّ ليشتمل على بعض العلوم الإنسانية إضافة إلى الأدب والفنون.

ويعرف أيضا بأنه:« منطقة تبادل وتفاعل بين البعد النفسي التمثيلي والبعد الاجتماعي والخارجي»[3] فالمتخيل دو بعد اجتماعي خارجي ونفسي داخلي معا فهو يمدنا بالأشكال العامة التي تنظم معرفتنا بالعالم الخارجي والتي تؤثر في المجال الداخلي لحياتنا النفسية.

رابعا: علاقة المتخيل بالواقع.

رغم الاختلاف الموجود بين الواقع والمتخيل إلا أنهما مكملان لبعضهما البعض حيث نجد أن المتخيل دائما ما يكون مرتبط بالواقع فيستمد عناصره من أشياء موجودة في العالم الواقعي أو شبيهة بها ليكوّن صور خيالية عن طريقها، لذا نستطيع القول عن الخيال أنه إبداع لأنه يشكل من أشياء موجودة في الواقع أشياءا جديدة لم تكن موجودة، لذلك

[1] سعيد جبار، من السردية إلى التخييلية، ط1، دار الأمان، (د،ب)، 2012، ص41.

[2] د. نادر كاظم، تمثيلات الآخر صورة السود في المتخيل العربي الوسيط، ط1، دار فارس، (د ب)، 2004، ص20.

[3] المرجع نفسه، ص39.

« نستنتج أن المتخيل نوع من الممارسة لهذا الواقع هذه الممارسة تكون في شكل إعادة إنتاجه أو ترتيب علاقاته أو تشكيله من جديد»[1]، فالمتخيل مجال واسع يتيح لنا الفرصة لرسم حياة خيالية غالبا ما نجد فيها ما افتقدناه في واقعنا.

ولذلك «فالعمل الأدبي مزيج من الحقيقة والزيف، الموثوقية واللاموثوقية والمصداقية والخيال» [2]، لأن العمل الأدبي غالبا ما يكون تعبيرا عن واقع معين فيستمد الكاتب الأحداث من الواقع ويضفي عليها مشاهد فنية من صنع خياله وذلك لإثارة المتلقي وخلق عناصر التشويق.

« فالمتخيل بوصفه خطابا حول الواقع ويتمفصل على عدة مستويات في هذا الواقع فإنه في حقيقة الأمر عبارة عن بناءات لغوية هذه البناءات تحاول قدر الإمكان احتواء الواقع أو محاكاته أو التعبير عنه»[3] وقد يختبأ الكاتب أحيانا وراء أقنعة الخيال ليعبر عن أوضاع حقيقية، وقد يكون هذا لأسباب سياسية غالبا أو اجتماعية لذا يحاول احتواء الواقع ولكن بطريقة غير مباشرة.

«فالمتخيل بقدر ما يبدو في علاقة تعارض مع الواقع والتاريخ، بقدر ما ينهل منهما عملياته وكل عملية من عملياته هي في نهاية الأمر تعبر عن رأيه خاصة للتاريخ والواقع»[4]، فهناك علاقة بين التاريخ والمتخيل، لأن المتخيل يرجع إلى التاريخ للاستعانة به رمزيا.

فالرواية بطبعها تستقي مادتها الخام من الواقع لتحوله إلى متخيل يثري شغف وتأثير الآخر، فالمتخيل هو مكان لتخزين الصور الخيالية فأضحت العلاقة بين الواقع والمتخيل علاقة جدلية لأن الواقع محدود في حين المتخيل منفتح وغير محدود.

---

[1] حسين خمري، فضاء المتخيل مقاربات في الرواية، ص44.

[2] المرجع نفسه، ص74.

[3] المرجع نفسه، ص45.

[4] د. آمنة بلعلى، المتخيل في الرواية الجزائرية من المتماثل إلى المختلف، ص55.

خامسا: سبب اللجوء إلى الخيال:

تختلف الأسباب وتتعدّد للجوء إلى الكتابة الفنية والإبداع في مجال فني معين، فقد تكون هذه الأسباب سياسية اجتماعية وغيرها، وقد تدفعنا للكتابة ظروف أخرى مختلفة فتكون ناتجة عن ضيق وغم أو سعة وراحة بال من جراء الظروف المحيطة بنا، وقد تختلف عن هذا وذاك فتكون من اجل حب الإبداع أو لتسجيل التاريخ بطريقة فنية ولعل الفن الروائي من بين أبرز الفنون التي تسعى إلى تصوير الواقع الاجتماعي خاصة في الوقت الراهن متناولة في ذلك بعض القضايا الشائكة في المجتمع العربي خاصة، ونذكر من هذه القضايا على سبيل المثال القضية الفلسطينية، وأزمة الحرية في الوطن العربي هاتان القضيتان خلفتا آثارا جد سلبية على الفكر العربي أدى بالكتاب إلى تصويرها في أشكال مختلفة، لاجئين في ذلك إلى الرموز الخيالية أو لغرض آخر هو الهروب من الحياة الواقعية وخلق عالم آخر كما تشتهي النفس وترغب.

ويلجأ الكاتب إلى الخيال« لدوافع وجدانية واجتماعية وفنية حيث تطفو على سطح الرؤى أحلام الحرية وآلام الحيرة والقلق، ورغبات الثورة والتمرد والرغبة في تصوير بعض الجوانب الاجتماعية المتردية وفضح الظلم وإدانة الاستعمار»[1] نلاحظ من خلال هذا القول أن الظروف المحيطة بالكاتب هي التي تدفعه للجوء إلى المتخيل، لأن الفرد العربي كثيرا ما عان من ويلات الحرب والظلم.

إضافة إلى الظروف والوقائع هناك وظيفة أخرى مرتبطة بالجانب الفني والجمالي حيث تقول آمنة بلعلى في كتابها أن :« الفكرة الجوهرية لعلاقة المتخيل بالموضوع الجمالي تتعلق بقضية فهم وإدراك المتخيل باعتباره موضوعا جماليا ليس باعتباره تلاعبا حرا بالجمال من خلال الصوت[2]» فالكتابة الروائية بطبعها تعتمد على عنصر الإثارة والتشويق لجلب ولفت النظر والاهتمام، إضافة إلى دور المتخيل باعتباره موضوعا جماليا يقرب الصورة إلى ذهن القارئ والابتعاد عن الغموض والتكلف، الذي قد يكون مملا.

[1] محمد صالح سليمان، الرحلات الخيالية في الشعر العربي الحديث، منشورات الإتحاد، (د،ط)، (د،ب)، 2000م، ص6.

[2] د.آمنة بلعلى، المتخيل في الرواية الجزائرية من المتماثل إلى المختلف، ص28.

المبحث الثاني: في الرواية العربية

تواصل الرواية مسيرتها نحو التمييز والتألق، ففي الوقت الراهن يبدوا أن العصر والأوان هو عصر الرواية، وذلك لكثرة انتشارها وسهولة قراءتها واشتمالها على عناصر التشويق والإثارة.

أولا: مفهوم الرواية:

أ- لغة: «من الأصل (روى) الراء والواو والياء أصل واحد، ثم يشتق منه، فالأصل ما كان خلاف العطش، ثم يصرف في الكلام لحاصل ما يروى منه، فالأصل رويت من الماء رياً وقال الأصمعي رويت على أصلي أروي رياً وهو راوٍ من قوم رواة وهم الذين يأتونهم بالمساء، فالأصل هذا، ثم شبه به الذي يأتي القوم بعلم أو خير فيرويه، كأنه أتاهم بريهم من ذلك».[1]

وجاء في معجم الوجيز:« (روى) القوم، وعيهم ولهم ريًّا استقى لهم الماد، والحديث أو الشعر رواية حمله ونقله فهو راو، (ج) رواة والزرع سقاه روى من الماء ونحوه رياً، وروِّى شرب وشبع، ويقال روي الشجر والنبت: تنعَّم، فهو ريَّان وهي ريَّا، وريانة(ج) رواةُ»[2]

أما في لسان العرب:« يقال للضعيف الوادع: ما يرد الرواية أي أنه يضعف عن ردها على ثقلها لما عليها من الماء، والرواية هو البعير أو البغل أو الحمار الذي يستقي عليه الماء، والرجل المستقي أيضا رواية»[3]

نلاحظ أن جميع التعاريف تكاد تجمع على أن معنى الرواية تطلق على من يسقي الماء أو من يأتي به.

[1] أبو الحسن أحمد ابن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، ج2، ص453.
[2] معجم الوجيز، ص283.
[3] ابن منظور، لسان العرب، ضبطه وتفحه، د. خالد رشيد القاضي، ط1، دار صبح ، لبنان، 2006، ج4، ص367.

ب- اصطلاحا:

تظل الرواية من الفنون الأدبية التي لقت انتشارا وشهرة واسعة وذلك لتوفرها على صفات الإبداع و مراعاة الذوق الشعبي والثقافي للمجتمعات خاصة العربية إضافة إلى أنها تتصف بالمرونة ولا تخضع لأي قانون فيصفها ميخائيل بختين بقوله: «أنها المرونة ذاتها فهي تقوم على البحث الدائم وعلى مراجعة أشكالها السابقة باستمرار، ولابد لهذا النمط الأدبي من أن يكون كذلك، لأنه إنما يمد جدوره في تلك الأرضية التي تتصل اتصالا مباشرا بمواقع ولادة الواقع»[1] فهي مرتبطة بالواقع المعاش رغم استعمالها لعناصر الخيال، فهي تعالج قضايا المجتمع بنوع من الفنية والجمالية فطبيعتها منسجمة مع واقع الإنسانية وهمومها ساعية إلى تصوير التفاصيل الدقيقة حول طبيعة المكان، إذ تعطي فكرة للقارئ عن طريق الوصف للشوارع والمنازل وكل الأجواء التي تعم المكان.

وتعرف أيضا بأنها ذاك« العالم السحري الجميل، بلغتها وشخصياتها وأزمانها وأحيازها وأحداثها، وما يعتور كل ذلك من خصيب الخيال وبديع الجمال»[2] نلاحظ من خلال هذا التعريف أن الرواية إنتاج فني جميل بجميع عناصره يثير إعجاب المتلقي من خلال توظيف عناصره بشكل جمالي في تجسيد الأحداث التي تقع في العالم وتعكس مواقف الإنسان.

ثانيا: نشأة الرواية العربية.

انتشرت الرواية في المجتمع العربي في زمن ليس بالبعيد وقد احتلت موقعا متميزا في الأدب العربي المعاصر، فقد استطاع هذا الفن خلال مدة زمنية قصيرة توسيع دائرة مخاطبيه إلى أن أصبح ينافس الفنون الأخرى، فبالعودة إلى تاريخ العرب يلاحظ أن

[1] روجر آلان، الرواية العربية، تر، حصة إبراهيم المنيف، المجلس الأعلى للثقافة،(د،ط)، (د،ب)، 1997، ص19.
[2] د. عبد الملك مرتاض، في نظرية الرواية مجلة عالم المعرفة، (د،ط)، الكويت، سنة1998، ص7.

العربي كان يهتم بحفظ وقائعه ومآثره وحروبه ومفاخره فكانت تنتج القصص بمختلف موضوعاتها واتجاهاتها فهناك الخرافة والأسطورة والموعظة.[1]

« وحين نتقدم قليلا في الزمن نجد أن ألف ليلة وليلة ومقامات بديع الزمان وغيرها من القصص والحكايات التي وصلت إلينا، حاول فيها أصحابها تصوير حالة الإنسان العربي واتجاهاته الأدبية والاجتماعية والأخلاقية وموقفه اتجاه عصره»[2] نستنتج مما سبق ذكره أن الفنون الأدبية العربية القديمة لا تختلف كثيرا في هدفها وغايتها عن الرواية الحديثة التي تستهدف في الغالب تصوير الوقائع الاجتماعية والثقافية والأخلاقية أو الحياة الواقعية بجميع مستوياتها، فنجد الرواية ماهي إلا تصوير للمجتمع الذي نشأت فيه ونلاحظ أن الرواية أول ما بدأت لم تبتعد كثيرا في أسلوبها عن مقامات بديع الزمان والفن القصصي القديم.

لذلك لم تختلف كثيرا عن التراث القومي حيث نجدها كثيرا ما تتناول قضايا موجودة في الواقع العربي متأثرة في أسلوبها بالكتابات العربية القديمة.

ورغم تأثر الرواية العربية في نشأتها بالفنون العربية القديمة إلا أن هذا لا يعني أن الرواية جنس أدبي عربي بل تعدّ كغيرها من الأجناس الأدبية أخرى وافدة إلى البلدان العربية وذلك يسبب صدمة النهضة والحداثة والإنبهار بالحضارة الغربية وتقليد الغرب في طقوسه وشكلياته وهذا ما أدى إلى فصل الحاضر العربي عن ماضيه، فجاءت الرواية العربية كفن حديث إنظم إلى فنون الأدب العربي مع بدايات الإتصال بالحضارة الأوروبية، وانتقل إلينا في أواخر القرن التاسع عشر على أيدي طلائع المثقفين العرب الذين تعرفوا على الثقافة الأوروبية والرواية الحديثة، ونقلوا إلى العربية الروايات الأوروبية[3]ونلاحظ مما سبق أن الرواية العربية الحديثة انتقلت إلينا بعد الإتصال

---

[1] ينظر، د. نادر أحمد عبد الخالق، الرواية الجديدة، بحوث ودراسات تطبيقية، ط1، دار العلم والإيمان، 2009 ص11-15.

[2] المرجع نفسه، ص16.

[3] ينظر، أحمد محمد عطية، الرواية السياسية، دراسة نقدية في الرواية السياسية العربية، (د،ط)، مكتبة مديولي، القاهرة ص28.

بالحضارة الغربية، وهكذا فقد نشأت في أحضانها وذلك مند تحول الروائيون العرب الأوائل عن ينابيع الفن القصصي والروائي في تراثهم العربي، فالرواية العربية الحديثة في بدايتها كانت تقليد عن الرواية الغربية فقد استطاع الوافد المستعمر الإستلاء على الفكر العربي.

غير أن الرواية العربية لم تلبث أن تقدمت، على أيدي الأجيال التالية من الروائيين العرب صوب تعريب موضوعها، فتخلصت من تأثير المضامين والقيم الغربية، ومع ظهور تحديات المقاومة الوطنية وحركات الإستغلال في مواجهة الغزو الإستعماري لبلادنا. إذا فقد تأثر الفكر الغربي إثر الإستعمار، وقد ساهمت حركات التحرر في البلدان العربية في التخلص من هذا التأثير، وأوجدت لنفسها أسلوب ومنهاج خاص بالثقافة العربية وقد أبدع الأدباء والكتاب في مجال الفن الروائي وأخرجوا مؤلفات عالمية وقمة في التطور والإبداع، فشهد الثلث الأول من القرن العشرين ومع ظهور الصحافة وعلم نجم الطبقة الوسطى واتساع دائرة المثقفين أو القراء، وثورات التحرر الوطني، الميلاد الفني للرواية العربية على أيدي الجيل الأول من الروائيين العرب نلاحظ مما سبق أن العوامل الثقافية ساهمت بشكل كبير في الميلاد الفني للرواية العربية.[1]

غير أن مجد الرواية العربية وعصرها الذهبي كان مع نجيب محفوظ، وعبد الحميد جودة السحار، وعادل كامل، وغيرهم، ثم تقدمت في الخمسينيات على ايدي الجيل الثالث من الروائيين العرب أدكر منهم يوسف إدريس، وفتحي غانم، وغيرهم، ولعل جيل الستينات الذي امتد إبداعه الروائي حتى السبعينيات والثمانينيات وهو الذي أكسب الرواية العربية الحداثة والحساسية والعمق والأصالة أمثال عبد الكريم غلاب وغسان كنفاني وجبر إبراهيم[2] إذن فالرواية العربية مرت في تطورها بعدة محطات ومع باقة من الروائيين.

أما عن الدول العربية التي كان لها السّبق في الإهتمام بهذا الفن« فتقرأ في كتاب علم اجتماع الأدب أنه لمصر ولبنان الفضل في الاتصال بأوروبا وتنشيط حركية الترجمة

[1] ينظر، أحمد محمد عطية، الرواية السياسية، دراسة نقدية في الرواية السياسية العربية، ص8.

[2] ينظر، المرجع نفسه، ص9.

والإقتباس لذا ظهرت ملامح الفن الروائي على أيدي أبناء هذين القطرين قبل باقي أقطار الوطن العربي، ويتناسى بعض منظري الرواية العربية مساهمات الروائيين في المغرب العربي والتي زامنت الروائيين في المشرق كما أن الرواية في الجزائر وإن بدأت أجنبية اللسان فإنها في موضوعها لم تكن بعيدة عن الثقافة العربية » [1]

نلاحظ أن الرواية العربية أول ما ظهرت كانت في المشرق العربي، ثم وصلت إلى المغرب إلا أن الكتابة الروائية في الجزائر في بدايتها كانت باللغة الفرنسية هذا ما أدى إلى تناسيها من طرف بعض منظري الرواية.

أما عن الرواية المعاصرة فقد: « تطورت ولم يبق من ظلال التوجه إلى التسلية إلا ما ينتسب إلى تاريخ بدايات تشكل الفن الروائي، ولدلك صارت الرواية تخطب قراء وليس قارئا عاما واحدا [2]» يشير هدا القول إلى ارتباط تطور الرواية بتطور القارئ لأنها تستهدف التصوير الداخلي للشخصية ساعية من وراء دلك إلى نشر الوعي من خلال تناولها للمواضيع الأكثر سخونة وتوترا في الوطن العربي كأزمة الحرية والقضية الفلسطينية، إضافة إلى بعض الثورات العربية.

وما نلاحظه أن الرواية الجديدة تبدو مختلفة عن القديمة، حيث أنها تمزج ما هو واقعي وما هو خيالي على عكس ما كانت عليه من قبل، حيث كان النص يعكس الواقع فالكاتب الروائي ينتج عالما خياليا من خلال الرواية يتحقق وجودها في ذهن القارئ« فتحاول الرواية كجنس أدبي أن تقدم أو تبرز امتلاكا معرفيا وجماليا للراهن الذي تصدر عنه زمانا ومكانا وامتلاك الراهن يعني الحركة الاجتماعية روائيا، فالرواية مجتمع مصغر أو مقطع من مجتمع»[3]، فالرواية الجديدة هي تصوير للواقع الذي نشأت فيه وتتطور بتطور الأحداث والوقائع كما أن للمكان والزمان تأثير واضح في أسلوب الكاتب.

وفي الرواية أيضا هناك إبراز لموقف الكاتب حيال الأوضاع التي يصورها في كتاباته

---

[1] فضيلة فاطمة درويش، سوسيولوجية الأدب والرواية، ط1، دار أسامة، 2013، ص87.

[2] صلاح صالح، سرد الآخر الأنا والآخر عبر اللغة السردية، ط1 المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء المغرب، 2003، ص17.

[3] مفقودة صالح، المرأة في الرواية الجزائرية، ط2، جامعة محمد خيضر بسكرة، الجزائر، 2009، ص32.

ففي الغالب يضع الكاتب لمسة فنية في أسلوبه هي في نفس الوقت تعبير عن رأيه حيال الموضوع الذي يعالجه.

وقد كان « من الصعب تحديد انطلاقة دقيقة للرواية العربية في شكلها الناضج المعاصر،بسبب تداخل البدايات حول صلاحية انضمام النماذج السردية المؤلفة في القرن العشرين إلى فن الرواية،كما أن هناك خلافا عميقا بشأن نسبة الرواية العربية المعاصرة بوصفها جنسا أدبيا إلى احد مصدريها الرئيسيين:الأشكال السردية العربية القديمة والرواية الغربية[1]»، قد أدى الاختلاف في نسبة الرواية العربية إلى عدم الاتفاق على تاريخ محدد حول نشأتها في صورتها المعاصرة.

ثالثا: الرواية في نظر النقاد:

من المتفق عليه أن الرواية أول ما ظهرت كانت في أوروبا ثم انتقلت إلى الثقافة العربية نتيجة للمواجهة والالتقاء بين كل من الغرب بعلومه وثقافته وبين إعادة اكتشاف وإحياء التراث العربي، فقد ظهر فن الرواية كفن مقلّد عن الغرب ومرتبط إلى حد ما بالتراث العربي فالرواية الغربية بدت معلقة بالأسطورة والملحمة، أما الرواية العربية فظهرت قريبة من القصة والمقامة «لذا كان من الصعوبة الإحاطة بالرواية إذ لا تعرف قواعد ثابتة وقاطعة(..) والرواية بذلك منفتحة على جميع الممكّنات غير محددة، قدرتها على الاختراع ومزاجها النشط وحيويتها تشبه المجتمع الحديث»[2] ، لازالت الرواية تفتقد لقواعد ثابتة لأنها لا تخضع لأي قانون يحكمها فهي في تطورها مرتبطة بتطور المجتمع وتغيره اللامتناهي.

وتعد الرواية «جنسا مفتوحا على بقية الأجناس الأدبية الأخرى ومستمدا منها بعض عناصرها مما جعل خطاب الرواية خطابا خليطا متصلا بسيرورات(...) الخطابات

[1] صلاح صالح، سرد الآخر، الأنا والآخر عبر اللغة السردية، المركز الثقافي العربي، ط1، دار البيضاء، المغرب، 2003، ص22.

[2] فضيلة فاطمة درويش سوسيولوجية الأدب والرواية، ص106، (بتصرّف).

والنصوص، ضمن سياقات المجتمعات الحديثة»[1]، فالرواية نمط أدبي دائم التحول والتبدل يتميز بالتغيير ولا يستقر على حال، والأعمال الفنية متفاوتة من حيث قوتها الفنية ومن حيث تصويرها للواقع الاجتماعي كون العمل الأدبي مرآة عاكسة له، وبخصوصية الكتابة الروائية واستقلاليتها يقرّ زيما وبرفض فكرة تملك الوعي بتمايز التفاخر الروائي عن التفاخر الاجتماعي ويرى في الأول وظيفة للثاني لا مماثلا له، من ثم شيد نظريته حول الرواية عن الرغبة في التقليد الرغبة الميتة قوامها الإعجاب الطبقة البرجوازية حد الإفتتان وطيلة القرون بطبقة النبلاء.[2]

ولم يختلف رأي النقاد العرب عن رأي ريما حول الرغبة الميتة،« وهناك من النقاد العرب من قرآني الرواية العربية من منطلق الرغبة الميتة ففسّر سلوك الشخوص وردود الفعل على أساس أنها رغبة العربي في أن يصير مثل المستعمر البرجوازي » [3] فالنقاد العرب يقرّون بأن الرواية العربية كانت من أجل التقليد والإعجاب بالمستعمر وثقافته « وقد أعلن النقاد موت الرواية مرة بعد أخرى، ثم عادوا لينفوا ذلك بالتكرار نفسه» فقد وضحوا مدى صعوبة التوصل إلى تعريفات شاملة فيما يتعلق بالرواية بما أن هذا الفن الذي يتسم بالتغير وليس له شكل أو موضوع معين، ومع ذلك لقت الرواية قبولا من طرف المتلقي فنلاحظ أنها تنافس الفنون الأخرى.

« والمتتبع لحركة الإنتاج الفني في أدبنا المعاصر يلحظ أن فن الرواية أخذ يحتل تدريجيا الصدارة في حياتنا الفنية وأخذ يشغل القسط الأكبر من اهتمام المنتج والمتلقي والناقد جميعا»[4] رغم حادثة فن الرواية إلا أنه انتشر انتشارا واسعا في المجتمع العربي المعاصر وأصبح يحظى باهتمام الكثير من الدارسين، ويرى فاروق خو رشيد أن «الإنتاج الروائي العربي المعاصر يصل إلى درجة من الأصالة تجعل من المذهل حقا أن يكون

---

[1] بتصرّف، ميخائيل باختين، الخطاب الروائي، تر محمد برادة، دار الفكر، ط1، القاهرة، 1987، ص37.

[2] ينظر، فضيلة فاطمة درويش، سوسيولوجية الأدب والرواية، ص82.

[3] ينظر، المرجع نفسه، ص82.

[4] فاروق خورشيد، الرواية العربية، ط2، دار الشروق، (د،ب)، 1975، ص9.

هذا الفن وليد عشرات من السنين فحسب»[1] أي أن الفن الروائي اكتسب أصالته في ظرف وجيز ولا يبدوا فنّا نقل عن الغرب.

رابعا: الواقع والمتخيل في الرواية

تطورت الرواية العربية عبر تاريخها حيث ظلت تستقطب اهتمام الكّتاب والقرّاء والنقّاد، لأنها تعالج الواقع بكل حيثياته، وتنوعت أساليبها من الرواية التقليدية إلى الحديثة وواكبت سيرورة المجتمع، وكثيرا ما نتحدث عن رواية تتناول واقع تاريخي أو اجتماعي ممزوج بمتخيل فني أدبي، فلا يخلو أي عمل أدبي من الواقع والمتخيل لأنهما عنصرين فاعلين فيه، فعلاقة النص الروائي بالواقع علاقة وثيقة لأن« قراءة النص هي بشكل من الأشكال قراءة لواقع المجتمع الذي نشأ فيه كما أن قراءة واقع المجتمع هي أيضا بشكل من الأشكال قراءة للنصوص التي يدعمها ذاك المجتمع»[2] فالعمل الروائي وليد المجتمع الذي نشأ فيه.

و« يعمد الروائي فيه إلى استرجاع ذكريات قريبة أو بعيدة لأننا في كل الحالات أمام إعادة إنتاج الواقع المحسوس بواسطة اللغة»[3] فاللغة هنا هي وسيطة بين الواقع والمتخيل وبين الروائي، فهو يسعى إلى تصوير هذا الواقع بطريقة إبداعية فنية، لأن «الحاجة كما يقولون تولد الاختراع، والإختراع والإبداع من صميم التخيل والخيال، لأن المبدع يكون في حالة بعد عن الواقع»[4] فيتلاعب الكاتب في سرد بعض الأحداث مع ما يتوافق مع هدفه من الكتابة.

و«المتخيل بوصفه منطقة تبادل وتفاعل بين البعد النفسي والتمثيلي والبعد الاجتماعي والخارجي»[5] فالمتخيل ذو بعد اجتماعي خارجي ونفسي داخلي والتي تؤثر في

---

[1] المرجع نفسه، ص9.

[2] د. نادر كاظم، المقامات والتلقي، ط1، دار فارس، (د.ب)، 2003، ص330.

[3] إدريس الكريوي، بلاغة السرد في الرواية العربية، ط1، دار الأمان، (د،ب)، 2014، ص92.

[4] المرجع نفسه، ص92.

[5] د نادر كاظم، تمثيلات الآخر صورة السود في المتخيل العربي الوسيط، ط1، دار فارس، (د،ب)، 2004، ص38.

المجال الداخلي لحياتنا النفسية فهو يربط بين الواقع المحسوس الذي نعيشه ومواقف الشخصية للكاتب اتجاه الموضوع الذي يناوله، فالظروف المحيطة بالروائي تؤثر في آرائه وفي أفق خياله، وتتطابق هذه الخصوصية مع طبيعة المتخيل المزدوجة بوصفه مكونا في الوقت ذاته فهو يتكون بفعل ثقافة ما وبفعل ظروف وسياقات مختلفة، كما أنه يسهم في تكوين الهوية الخاصة بهذه الثقافة، ويعمل بوصفه محفزا ودافعا على الفعل في تلك الظروف والسياقات[1] فالمتخيل يتكون عبر الزمن إثر الظروف الاجتماعية والنفسية ليصبح فكرا راسخا فيتحول إلى مكون عن طريق توظيفه كمرجعية ثقافية خاصة بفرد أو بفئة معينة فالمتخيل« إما أن يختزل في البعد النفسي الذاتي وإما أن يختزل في بعده الاجتماعي»[2]

يعد المتخيل في الوراية العربية عنصر أساسي، حيث اهتم أغلب الروائيين بهذا المصطلح لما له من حضور بارز في الرواية، فقد اعتمدت النصوص الروائية المعاصرة على توظيف عنصري الواقع والخيال لما لهما من تأثير واضح على المتلقي.

[1] ينظر، د نادر كاظم، تمثيلات الآخر صورة السود في المتخيل العربي الوسيط، ص39.
[2] المرجع نفسه، ص39.

الفصل الثاني: الواقع والمتخيل في رواية لا سكاكين في مطابخ هذه المدينة.

المبحث الأول: دور المرجعيات الثقافية في بناء الواقع في الرواية (الثورة كحدث تاريخي)

1- المرجعية السياسية.

2- المرجعية الاجتماعية.

المبحث الثاني: فضاء المتخيل في الرواية وتجاوزات الواقع.

المبحث الثالث: دلالة المرأة والجنس والمكان.

1- دلالة المرأة في الرواية

2- دلالة الجنس في الرواية

3- دلالة المكان في الرواية

المبحث الأول: دور المرجعيات الثقافية في بناء الواقع في الرواية (الثورة كحدث تاريخي)

ليس من الجديد حين أقول أن الأدب وليد المجتمع الذي نشأ فيه، وليس غريبا حين أقول أن هذا الأدب هو تصوير لذلك المجتمع وتعبيرا عن واقعه وقضاياه، وما نلاحظه في الآونة الأخيرة أن المجتمع العربي يعاني واقعا متدبدبا وصراعات كثيرة ومتنوعة ولكن دون فائدة تذكر، فقد شهد الوطن العربي في بعض أقطاره انقلابات وصراعات ظهرت في ظرف زمني وجيز جدا عرف بالربيع العربي، إلاّ أن هذا الاسم يبدو غير لائق به لأنه زمن سفك الدماء الأبرياء، وهدم للأنظمة الاقتصادية والاجتماعية، بدلا من أن يكون زمن البناء والتطوّر، ومن بين الدول التي مسّها الانقلاب دولة "سوريا" التي شهدت انقلابا عسكريا ضدّ السلطة الحاكمة، أدّى إلى تدهور الأوضاع في البلاد في شتى المجالات، وبطبيعة الحال لم تكن الثورة السورية بعيدة عن أعين أدبائها الذين أخذو في تصوير الثورة وآثارها على الواقع الاجتماعي السوري، ومن بين هذه الأعمال الأدبية "رواية لا سكاكين في مطابخ" هذه المدينة التي لخّصت في أسطرها من مخلفات الثورة.

*[1]رواية لا سكاكين في مطابع هذه المدينة لمؤلفها خالد خليفة هو روائي وكاتب سناريو سوري، درس في جامعة حلب وحصل على ليسانس في القانون في عام1988، يكتب الشعر وهو عضو في المنتدى الأدبي في الجامعة، كتب خليفة دراما تلفزيونية مثل مسلسل (قوس قزح) و (سيرة آل جلال) وبعض الأفلام الوثائقية والأفلام القصيرة والأفلام الروائية الطويلة (فلم باب المقام) أسس مع بعض أصدقاءه في جامعة حلب مجلة ألف، أول رواية له هي حارس الخديعة ونشرت في عام1993، روايته الثانية هي دفاتر القرباط، وعلى إثرها تم تجميد عضويته من قبل اتحاد الكتاب العرب لمدة أربع سنوات بعد أن نشر الرواية في عام2000.

قضى خليفة ثلاثة عشر سنة في كتابه رواية مديح الكراهية وهي رواية تتكلم عن كيفية تأثر حياة أفراد أسرة سورية بالحرب الدائرة بين النظام السوري والإخوان المسلمين ونشر فيها ما جرى لجماعة الإخوان المسلمين في حماه، وقد نشرت في دمشق قبل أن يتم حضرها، ولاحقا تم إعادة نشرها في بيروت، حيث يعلق على الحضر قائلا "هذا النوع من

*موسوعة ويكيبيديا الحرة www.wikepidia.org/wiki

الحضر للروايات، يأتي نتيجة البيروقراطية التي لا تمثّل مستويات رفيعة من الحكومة وأنه يفضل التفاوض بين الفنّانين والسلطات السورية من اجل ضمان حرية التعبير.

[1]*صرح بأن عمله لا يقصد مناصرة أي فكر سياسي، وفي الرّد على روايته مديح الكراهية قال قبل كل شيء لقد كتبت هذه الرواية من أجل الدفاع عن الشعب السوري، وسعيا للإحتجاج على المعاناة التي تحملها نتيجة ذلك من العقائد الدينية والسياسية التي حاولت نفي حضارتهم العائدة لعشرة آلاف سنة.

مشاركته في الثورة السورية.

عرف خليفة بموافقة المناصرة للثورة السورية منذ لحظة انطلاقها ولم يخف ذلك أبدا حيث أكّد في أكثر من مناسبة مشروعيتها كخيار لا بديل عنه في مواجهة الظلم، كما سبق أن تعرض للضرب حتى كسرت يده خلال اعتداء أجهزة الأمن السورية عليه أثناء مشاركته في تشييع الموسيقي السوري ربيع غزي26 أيار2012.

من مؤلفاته:

1- الروايات:

2016الموت عمل شاق

2013 لاسكاكين في مطابخ هذه المدينة (حصلت على جائزة نجيب محفوظ للرواية ووصلت إلى القائمة القصيرة للجائزة العالمية للرواية العربية البوكر)

2008 مديح الكراهية رشحت لجائزة الأنديبت العالمية وكذلك لجائزة البوكر العربية.

2000 دفاتر القرباط

1993 حارس الخديعة

2- المسلسلات:

مسلسل قوس قزح2000

مسلسل سيرة آل الجلالي2000

مسلسل العراب، نادي الشرق الموسم الثاني2016.

منذ2009 يعمل على روايته الجديدة حياة موازية.

*موسوعة ويكيبيديا الحرة www.wikepidia.org/wiki

نلاحظ من خلال عرضنا للسيرة الذاتية لخالد خليفة أنه كان متأثرا في كتاباته بالأوضاع في سوريا وأنه يساندها من خلال مؤلفاته الأدبية والدرامية فنستنتج أن للأدب له علاقة وثيقة بالسياسة، فقد « ارتبطت الرواية بالسياسة ولعبت دورا مهما في التغيير الاجتماعي والسياسي بنقدها للواقع الاجتماعي والسياسي وكشفها لبدور التحول السياسي وتقديمها للشخصيات المبشرة بالثورة »[1] فعند ذكرنا للوضع السياسي والاجتماعي علينا أن نبرز العلاقة بين المجتمع والسياسة لأن السياسة تخص السلطة الحاكمة وبالتالي فهي تؤثر تأثيرا مباشرا على الواقع الاجتماعي وبذلك فإن الرواية في تصويرها للمجتمع هي بذلك تكشف عن الوضع السياسي.

وبذلك فقد« برز الأدب كأداة من أدوات التعبير السياسي والاجتماعي»[2]، فالأعمال الأدبية في أغلبيتها تعبير أن الواقع السياسي والاجتماعي خاصة في الآونة الأخيرة حيث برزت على الساحة العربية بشكل خاص صراعات وحروب فكان موضوعها مجالا خصبا للأديب، ومن هنا نستنتج أن الرواية تستند إلى مرجعيات ثقافية، أما الرواية التي بين أيدينا فهي تعالج واقعا اجتماعيا وسياسيا، ومن هنا برزت لدينا مرجعيتين بارزتين في الرواية هما: المرجعية السياسية والمرجعية الاجتماعية.

أولا: المرجعية السياسية:

ونحن في عصر يدّعى أنه عصر الديمقراطية انتشرت فيه هيئات ومنظمات لحماية حقوق الإنسان، وهي منظمات عالمية، ولكن في حقيقة الأمر لا يصلح اسم الديمقراطية إلا على بعض الدول لأنه في غيرها هو عصر الظّلم والإستبداد، بحيث انتشرت الحروب والصراعات بسبب البيروقراطية السائدة في المجتمعات، فما يلاحظ في البلدان العربية أن استثمار ثروات الدولة هو من حق فئة قليلة وهي مسؤولي الدولة وقليل من رجال الأعمال وهذا بعكس ما يزعم في كتب القوانين والدساتير.

وقد« تناولت الرواية العربية العديد من القضايا السياسية مثل العادلة الاجتماعية وحرب أكتوبر والحرب اللبنانية غير أن أهم القضايا السياسية التي شغلت أمتنا العربية ولم تزل تشغلها هي أزمة الحرية في وطننا العربي»[3] فالرواية العربية كانت ولم تزل تعالج

---

[1] أحمد محمد عطية، الرواية السياسية، ص10.

[2] المرجع نفسه، ص12.

[3] المرجع نفسه، ص12.

الأوضاع السياسية المرتبكة للوطن العربي، وتصوّر أثر هذه الأوضاع على المجتمع فالكاتب يسعى من خلال روايته إلى كشف زيف الحياة السياسية، والاجتماعية، حيث ينغمس الحكام في ملذاتهم في حين يعاني الشعب الخوف والجوع.

وجاء في رواية لاسكاكين في مطابخ هذه المدينة في فصلها الأول "حقول الخس" ليحكي على لسان أحد الشخصيات قصة عائلة عاشت حياة الظّلم والإستبداد، وتبدأ الرواية بجملة يخبر فيها الراوي بموت أمه« في طريقي إلى المنزل تذكرت أن أمي لم تبلغ الخامسة والستين كي تموت بهذه الطريقة المفاجئة»[1] فمن خلال هذه العبارة يبدو لنا أن الراوي في حالة شرود وحيرة، وبسبب هذا الموت المفاجئ يستعيد تاريخ عائلته، وما آلت إليه شوارع المدينة فيقول: « الموت يتمدد ثقيلا في شوارع حلب الموحشة لدرجة لا تطاق»[2] أدّى الانقلاب العسكري إلى انتشار الخوف والهلع في أوساط الناس وانقسموا إلى قسمين بين مؤيد للحزب ومعارض له، وانعدم الأمن والطمأنينة، وانتشرت الموت يقول« خالي عبد المنعم لم يعد يرى من الصورة سوى ابنه يحي الذي رآه لآخر مرة جثة مسجاه في مشرحة مشفى الجامعة، محترق الوجه ومن دون أصابع، على جسمه كدمات الكابلات الكهربائية وشقوق سكاكين متقيحة لم تندمل بعد اكتفى خالي نزار بنظرة واحد ليتعرف إليه، أغلق بعدها الطبيب الشرعي الصندوق الحديدي كأنه يقوم بعمل روتيني»[3] ، حيث أصبح الموت والتعذيب أمرا شائعا بين الناس، فأصبحت آثار المجتمع المفكك واضحة وغابت العدالة والحقوق، فهنا يريد الإشارة إلى أثر النظام الديكتاتوري ويقول« كانت تفكر بأن الذهاب إلى الموت بقوة يليق بأحلامها الكبيرة التي ماتت قبلها»[4] ويدل هذا على أن الشخصيات في الرواية تشعر بالضياع، وأن الحياة لا قيمة ولا طعم لها بعد أن أنهى النظام كل الأحلام، ودمّر الروابط الأسرية، فالأم تتمنى الموت بعد أن هجرها زوجها فارا من الحياة البائسة التي يعيشها، والوضع الذي آل إليه أبناؤها فلم تحقق أحلامها فيهم وكرهت الحزب وتظنّته السبب فيما جرى معها، فقد أراد خليفة من خلال روايته أن يبين الأثر الذي تركه الوضع السياسي المعبأ بالخوف في أوساط المجتمع والتي ظلّت محفورة

---

[1] خالد خليفة، لاسكاكين في مطابخ هذه المدينة، ط1، دار الآداب، بيروت، 2013، ص7.

[2] المرجع نفسه، ص9.

[3] المرجع نفسه، ص8-9.

[4] المرجع نفسه، ص10.

في التاريخ السوري، فنلاحظ أن التاريخ السياسي العربي، وأزمة الحرية في البلدان العربية، ظلت موضوعا أساسيا للرواية العربية، التي سلطت الضوء عليه في مناسبات كثيرة، وذلك من خلال رصدها لواقع تلك الأزمة، وتجسيدها في تلك العقد، والأحداث الشائكة سواء كانت متعلقة بالشخصيات الرئيسية أو الثانوية، لأن لكل منهما بعد دلالي معين، كما أنها تسعى للتعبير عن حجم الضرر الذي تخلفه الأزمة، وتحقيق حرية الإنسان العربي، وحقه في تحديد مصيره، ورسم هدفه، وتحقيق حلم الأمن، والديموقراطية، فالرواية العربية تدين أساليب القهر السياسي في البلاد العربية من خلال تصويرها للقمع واضطهاد، وسلب الحقوق، والتعذيب المادي والمعنوي الذي يتنافى مع الإنسانية، حيث تحمل الروايات العربية في طياتها للقهر السياسي[1] وتدعو إلى العدالة والحرية، وتسعى لنشر الوعي الفكري عن طريق الكشف عن أساليب الاستغلال والإضطهاد، وهذا ما سعى إليه خالد خليفة من وراء تصويره لبعض الأحداث في الرواية التي تبرز الواقع السياسي الذي سيطر على المجتمع يقول« معزون قلائل يتحدثون عن أسعار الخضار وأغلبهم مدرسون لامعون زملاء خالي الذي تحول بين ليلة وضحاها إلى أبٍ لمجرمٍ فصل فصلاً تعسفياً من التعليم ومنع من السفر إلى الخليج»[2] فهنا تدل هذه العبارة على الظلم والإستبداد الذي تطبقه السلطة على الشعب، الذي أدى بهذا الرجل إلى فقد منصبه إضافة إلى حرمانه من بعض الحقوق التي قد تفتح أماه آفاقا جديدة لبناء مستقبل جديد.

ومن خلال دراسة للتاريخ السياسي العربي نجد أن الوطن العربي بجميع أقطاره عرف فترة من القهر والكبت والمنع من طرف الاستعمار، الذي حاول بطرق شتى في محو قومية وثقافة الأمة العربية، في المقابل حاول الفرد العربي الحفاظ على الضمير والشخصية العربية، وقد مثلت الرواية العربية إحدى وسائل الحفاظ على الشخصية، حيث صورت المقاومة العربية ضد الاستعمار[3] ففكرة الجهاد والدفاع عن الوطن والدِّين لم تغب في الرواية، بحيث يقود خليفة عن طريق شخصية رشد إبراز دور الجهاد في سبيل

[1] ينظر، أحمد محمد عطية، الرواية السياسية، ص17.

[2] خالد خليفة، لاسكاكين في مطابخ هذه المدينة، ص122.

[3] ينظر، أحمد محمد عطية، الرواية السياسية، ص85.

الوطن يقول« يخبره بهدوء أنه يريد المغادرة مع القافلة الذاهبة إلى بغداد ليؤدي واجبه في الدفاع عن ديار الإسلام ضد الصليبيين الجدد»[1]

فكان هدف رشيد من مغادرته إلى أرض العراق هو الدفاع عن القومية العربية الإسلامية، التي برزت تباعا لدى عديد من التجمعات ورواد النهضة في الوطن العربي كردة فعل لسيطرة الغرب على العرب[2]» فقد ظهرت فكرة القومية العربية إثر الاستعمار الغربي للوطن العربي، مما خلق جو الوحدة والتآزر في المجتمع السياسي العربي، انطلاقا من وحدة اللغة والدين والمواقع الجغرافية المتجاورة، إضافة إلى البقاع المقدسة التي هي من حق المسلمين جميعا.

لم يرجع خالد خليفة إلى التاريخ السوري بشكل كبير، إلا أنه ذكره في بعض المناسبات خاصة عند الحديث عن الجدّ جلال النابلسي، الذي يرى أنه منبع فخر عائلته يقول« كان الاحتفال أنيقا يتبختر فيه العمال المكرمون ببدلاتهم الرسمية، أفراد عائلاتهم الفخورة بهم يتبادلون النظرات والابتسامات الرقيقة تحدث جدي جلال النابلسي الذي كان يدخل عامه السبعين خاشع ومتأثر عن رفاقه القدامى، ترحم عن أغلبهم وأسهب في مديح المسيو هنوي الذي ترك باريس وعشق حلب استقر في حي الجديدة قبل أن يعدم وتتهمه السلطات الفرنسية المحتلة لسوريا بعمالته للألمان، دمعت عيناه أكثر من مرة»[3] فقد كان ماضي العائلة مشرفا، حيث كان الجدّ يرافق كبار الشخصيات في الدولة، ويحصل على جوائز وتكريمات تهنيئا على عمله، لكن هذا التميز والنجاح توقف عند الجدّ ولم يتواصل مع أولاده الذين عانوا من أثر الإنقلاب العسكري، فأم سوسن التي كانت مدرسة توقفت عن عملها وعبد المنعم الذي مات ابنه يحيها ترك فيه جرحا بالغا وفصله من الأستاذية وابتهال المولعة بالتقاليد العثمانية ونزار الموسيقي الموهوب والذي عرف تدبدبا في حياته التي مضاها مع أولاد أخته يتقاسم معهم المحن التي يعانون منها، وقد تواصل هذا الضياع مع أحفاد جلال النابلسي.

فرواية لاسكاكين في مطابخ هذه المدينة لم تأخذ على وجه الخصوص أحداث تاريخية وصورتها تصويرا مباشرا متسلسلا، بل أخذ بعض المصطلحات والعبارات التي عبرت

---

[1] خالد خليفة، لاسكاكين في مطابخ هذه المدينة، ص206.

[2] د مصطفى عبد الغني، الاتجاه القومي في الرواية، د ط، عالم المعرفة أغسطس1994، الكويت، ص15.

[3] خالد خليفة، لاسكاكين في مطابخ هذه المدينة، ص26.

عن انقلاب البعث السوري وربطه بالواقع السوري مند بداية الانقلاب الذي تشهده سوريا فالرواية ترصد التاريخ السوري لأن هذا الفن هو« أقرب الفنون الأدبية إلى التاريخ، بسبب شكله الشمولي الذي يتسع لتصوير الإنسان الفرد والإنسان في المجتمع والمجتمع في التاريخ»[1] لكن هذا لا يعني أن الرواية هي عبارة تأريخ، ولكنها عمل فني يتناول التاريخ دون أدواته وهدفها يختلف عن هدفه.

ثانيا: المرجعية الاجتماعية:

لا تخلو الرواية التي بين أيدينا من سرد للأوضاع الاجتماعية التي آلت إليها سوريا إثر الإنقلاب لأن« الرواية ترتبط بالواقع الاجتماعي وظهورها أصلا مرتبط بتشكيل اجتماعي جديد»[2] فظهور الرواية من الأساس كان مرتبط بالمجتمع فالرواية تحاكي الواقع الاجتماعي بجميع عناصره.

رواية لا سكاكين في مطابخ هذه المدينة لخالد خليفة هي رواية عن المجتمع عاش حياة البطش والرغبات المفقودة عبر سرد لحياة عائلة اكتشفت أن كل أحلامها ماتت بعد التشتت والضياع الذي بدأ بزواج الأم من رجل ريفي وسط رفض وترفع عائلتها ثم هجره لها بعد أن اختار الفرار مع إيلينا الأمريكية تحزن الأم على كونها امرأة مهجورة يقول: « تنظر أمي إلى السيوف المعلقة في رقبتي، أبدو لها كمتسول ثيابي قدرة وأظافري غير مقصوصة أقرأ في عينيها ضلالي الذي سيدمر رقي عائلتنا الذي صممت على حمايته من ضجيج الشارع والرجال الذين تفوح من جلودهم رائحة مخلل اللفت[3]» ترى الأم في تحطم رقي عائلتها الذي سعت للحفاظ عليه لأنها تعيش في مجتمع انتشرت فيه القدارة بجميع أشكالها وبدأ الضياع يتسلل إلى منزلها بعد مدينتها« ويزداد يأسها بعد اكتشافها أن أغلب رفيقاتها القديمات انتمين إلى الحزب يكتبن على صفحات دفاترهن تحضيرهن الأولى كلمة مأثورة للرئيس القائد ويحفظن كل الأغاني التي تمجده[4]» فيما ترفض هي العيش تحت ولاء قادة ريفيين أغبياء وضلت وحيدة تشعر بالحزن لما أصبح أولادها يشبهون أبناء جاراتها الريفيات وضياع أحلامها بالحفاظ على أسرتها كولادة الطفلة سعاد معوقة

[1] أحمد محمد عطية، الرواية السياسية، ص160-161.

[2] أ مفقودة صالح، المرأة في الرواية الجزائرية، ص33.

[3] خالد خليفة، لاسكاكين في مطابخ هذه المدينة، ص120.

[4] المصدر نفسه، ص122.

فاعتبرتها أمها عار سيقضي على أحلام الأم بعائلة مثالية وولادة الراوي في يوم يتزامن مع الانقلاب العسكري فعدت ولادة طفل في هذا اليوم فال سيء وابنتها سوسن التي انحرفت بعد رسوبها المتكرر في البكالوريا ورشيد الذي أحب الموسيقى وأخذ دروسه عن خاله نزار ويقول« لم يعد اجتماعنا على طاولة العشاء مناسبة رائعة لتبادل النكات والضحك»[1] فقد غابت روابط عائلتها وأصبح أولادها يعيشون في تشتت لكل منهم حياة خاصة وأهداف غائبة، تائهون في ظل مصادر الحزب لجميع الحقوق وبجميع الأساليب سواء كانت بطريقة مباشرة عن طريق ممارسة الحكم والهيمنة على الأفراد بواسطة العنف والقمع والقوة المكشوفة من خلال أجهزة الشرطة والقوانين الاستبدادية أو بطرقة غير مباشرة يتمثل في الإيديولوجيا أو اللاوعي الاجتماعي الذي يطبق عن طريق المؤسسات الاجتماعية المختلفة مثل المدرسة والمجتمع والمسجد واتحادات العمال والأحزاب السياسية وأجهزة وسائل الإعلام وغيرها فهو يؤدي دوره ولكن بطريقة مقنعة[2] ولا ينتبه إليها إلا المثقفون في البلاد وفئة قليلة من المجتمع، ولم يغب هذا في الرواية بحيث يشير الروائي إلى الشخصيات الهامشية في المجتمع، هذا البطش الذي أدى إلى انتشار الخوف يقول: « فكرت بأننا نصنع الخوف ليخاف الآخرون منا لكننا نكتشف أنه يلازمنا ويجعل منا بشرا خائفين كأوهام المجد الذي حلمت به سوسن ذات يوم وهي تتأبط ذراع منذر في شوارع حلب ترى خوف الناس حين يلتقون بهما فترتعش لماذا خوف الناس يجعلها ترتعش؟ وفي اللحظة ذاتها تشعر بحرارة جسدها تتصاعد انتقل الخوف إليها تحاول الهرب من هذه الفكرة اعتقدت بأنها ستصبح سيدة منزل منذر الدمشقي الواسع»[3] فرغم أنها كانت تمسك بيد القائد العسكري إلا أنها لم تشعر بالأمن وأخذ الخوف يتسلل إلى نفسها فقد غاب الأمن والطمأنينة من قلبها كسائر سكان مدينة حلب الذين سكن الرعب نفوسهم نتيجة لعمليات التطويق العسكري والتهم الموجهة إليهم يقول« كانت تشعر بالفخر حين ترى سيارات المخابرات تطوق المدرسة وتعتقل طالبة للتحقيق في مضمون تقاريرها لساعات طويلة تجلس الطالبة في غرف المحققين، ترتجف خوفا تنهشها عيون المخبرين يواجهها المحققون لا تجد سوى البكاء سبيلا للدفاع عن نفسها، تعود إلى المدرسة فتاة

[1] خالد خليفة، لاسكاكين في مطابخ هذه المدينة، ص113.

[2] ينظر، د. نادر كاظم، تمثيلات الآخر، صورة السود في المتخيل العربي الوسيط، ص37-38.

[3] خالد خليفة، لاسكاكين في مطابخ هذه المدينة، ص131-132.

أخرى إن لم تغب في غياهب السجون تتحاشى صديقاتها القديمات خائفة ذليلة»[1] يشير الروائي من خلال ذكره "للمحققين" "والمجندين"، و"غياهب السجن" إلى آثار الحرب والقمع العسكري، كما يشير أيضا من خلال ذكر "لا تجد سوى البكاء سبيلا وتتحاشى صديقاتها خائفة ذليلة" إلى وقع الحرب على الحالة النفسية الصعبة للناس وانعدام الثقة بين أفراد المجتمع، فهنا يشير خليفة إلى جسامة ما خلفه الوضع السياسي على الوضع الاجتماعي في حلب وفي أماكن أخرى من العالم العربي حيث نجد أن الرواية في الجزائر هي الأخرى تناولت الثورة الجزائرية على جميع الأصعدة السياسية والاجتماعية والاقتصادية بحيث« لا يمكن بأي حال من الأحوال تناول (...) الرواية الجزائرية بمعزل عن الوضع السياسي والاجتماعي»[2] لأن الثورة الجزائرية والثورات العربية بشكل عام تركت أثرا بالغا في نفوس الشعب العربي وظلت محفورة في ماضيه وحاضره بحيث لا يمكن الإنفصال عنها فنستنتج أن الرواية خاصة والأدب عامة هو تصوير الواقع بكل حيثياته ورسالة للتوعية من جهة ولكشف زيف الحياة السياسية والإجتماعية من جهة أخرى.

[1] المرجع نفسه، ص132.
[2] أ. مفقودة صالح، المرأة في الرواية الجزائرية، ص8.بتصرّف

المبحث الثاني: فضاء المتخيل في الرواية وتجاوزات الواقع.

يظهر لنا من خلال دراستنا للمتخيل أن له دورا أساسيا في بناء العمل، وخاصة في العمل الروائي، ويسعى الروائي من خلاله إلى التأثير في نفوس المتلقين، وهذا التأثير يكون «بحسب ما تكون عليه درجة الإبداع، وبحسب ما تكون عليه الهيئة النطقية المقترنة بها، وبقدر ما تجد النفوس مستعدة لقبول المحاكاة والتأثر بها»[1] فكل ما كان العمل الروائي ذو جودة عالية كان التأثير على المتلقي أكثر، مع مراعاة حالته النفسية ومدى استجابته للمحاكاة وتقبلها والتأثر بها، وهذا أيضا له علاقة بالموضوع المعالج في النص الروائي، ففي النص الذي بين أيدينا يحاول خليفة في روايته لاسكاكين في مطابخ هذه المدينة تصوير الواقع الاجتماعي المتضرر من آثار الحرب، وعالجه فنيا من خلال مزجه بين الواقع المعاش، وخياله الواسع، مستمدا في ذلك بعض الأحداث من التاريخ الثوري السوري، والاحتلال الفرنسي، موظفا خياله من خلال إبداعه، حيث ينتقل بين شخصية وأخرى، من خلال الابن الأصغر الذي ترافقت لحظة ولادته مع حدوث الانقلاب، فيعيش حياة موازية له، يتأثر بها ولا يؤثر فيها، يبدو هذا واضحا في سرده لحكايات العائلة، دون أن يظهر كثيرا فيها إلا بصفة راويا ينقل مجريات الأحداث، يعاني الراوي من سطوة الاستبداد الذي حوله إلى شخص هامشي وثانوي، ويبدو هذا جليا حين قراءتنا للرواية دون أن نعرف اسمه، فهو الذي عدت أمه يوم ولادته الموافق ليوم الانقلاب فلا سيئا له.

وقد أعاد خليفة مرارا وتكرارا ذكر بعض الأفكار يقول« تدلني على الطريق وتشرح لي أن رجالا غليظي الشوارب يتربصون بالأطفال الصغار»[2] وفي هذا يؤكد على انعدام الأمن في شوارع المدينة، وإبراز أثار الاستبداد ومصادرة الحريات، ويقول« حين أصبحت امرأة مهجورة تعيش مع أولادها حياة موازية مع الحزب، الذي صادر ما تبقى من الحريات»[3]

فبعد أن هجرها زوجها تعيش الأم مع أولادها حياة موازية مع الحزب قبل أن تدخل في صمتها منتظرة الموت، وتتابع عبر شخصية الراوي حياة أفراد العائلة، التي تبدو أكثرها تمردا سوسن التي تضحك، يقول: « ويعجبها النيل من أمي لا تعرف إذا

---

[1] أسماء بالفار، المتخيل في النقد الروائي الجزائري، مذكرة لنيل شهادة الماستر، 2015، ص53.

[2] خالد خليفة، لاسكاكين في مطابخ هذه المدينة، ص15.

[3] المرجع نفسه، ص19.

كانت تكرهها حقيقة أو تشفق عليها»[1] فسوسن التي تبدو وكأنها تكره أمها المقهورة والصامتة، وترفض التماهي معها، تحب مدرس اللغة الفرنسية جان عبد المسيح، الذي يهرب بدوره من آثار الاستبداد، متجاهلا حب سوسن مما يدفعها إلى الإنخراط في كتائب المظليات، وكتابة تقارير عن زميلاتها، لاحقا تنتبه سوسن إلى خسارتها بعد سلسلة أحداث عاصفة، فتتمنى لو تعود امرأة نقية، غير ملوثة بالتقارير التي أودت برفيقاتها في المدرسة وعائلاتهم إلى التهلكة، في محاولة منها للهرب من عارها الشخصي، وسنجد طرفا آخر هو خالها نزار الموسيقي العبقري، الذي تتقاطع حياة أفراد العائلة مع حياته، فيشاركهم همومهم كأم حنون بعد عودته إلى حلب.

وتشكل حلب بؤرة الرواية، إذ أنها المركز الذي يعدْ إليه الجميع بعد أن يهزموا خارجه، فرشيد الأخ الاوسط سيعود بدوره إليها بعد ذهابه إلى العراق ليجاهد ضد الغزو الأمريكي هناك.

وكما تشكل مدينة حلب مركز الرواية كمكان لأحداثها، فإن لحظة موت الأم تشكل أيضا مركزها الزمني، تبدأ جميع فصول الرواية تمضي في بنية شبكية إلى نهاية الأحداث ثم تعود في بداية الفصل الثاني إلى النقطة الأولى لتعاود مضيها من جديد حتى نمر على جميع الخيوط والعقد الكثيرة.

ويتعقب خليفة من خلال أسرة جلال النابلسي الموظف في سكة حديدية، وكيف أرسى بزواجه الباهت من جدة الراوي لمشاعر الكراهية في حنايا أبنائه وأحفاده، ابتداءا بالزوجة التي أهملت منزلها، وتركت إدارته لابنتها ابتهال المولعة بالإرث العثماني وصولا إلى ابنها نزار المجاهد، مرورا بالابن الآخر عبد المنعم الذي يخفي وراءه تسلطا وانحرافا، وقد حكى هذه الأوضاع مبينا الألم والضياع الذي آلت إليه أحوال هذه العائلة والتي لقت تشتت وتفرق بين أفراد عائلتها تحت أثر السياسة، وذهاب كل فرد منها وراء طموحه، وفي الأخير تبدأ سوسن وأخيها في البحث عن أصول العائلة الريفية، الذي يعني فشل الجميع في تحقيق دواتهم ورغبتهم في الانتماء إلى العائلة الريفية، التي كانوا في غنى عنها قبل ذلك.

[1] خالد خليفة، لاسكاكين في مطابخ هذه المدينة، ص113.

كانت قسوة الاعترافات ضرورة حتمية، والاعتراف بأنهم جميعا كانوا يعيشون الخوف، وقد اختار خليفة عنوان روايته من خلال ما قاله رجل يسكن شارعا فقيرا لا يجد ما يطعم به أولاده الأربعة وزوجته، والذي أراد أن ينتحر وهو يبحث عن سكين قال ألا توجد سكاكين في مطابخ هذه المدينة، وهنا يبرز جليا مدى تأثير الواقع السياسي على الواقع الاجتماعي« فصراع الشخصيات يفسر على أنه صراع المجتمع في الواقع المعاش»[1] فالروائي أثناء نسجه لأحداث الرواية وشخصياتها هو بذلك في إعادة لرسم معالم المجتمع، ولكن بطريقة أدبية فنية وفي إطار سياقات وظروف من صنع خياله و إبداعه حيث أن« الإنسان يخرج من عالم الحياة اليومية المتكرر الذي تتشابه فيه الأشياء جميعا»[2] ويحاول أن يضع عالما آخر على هواه، ووفق أهداف يسعى من خلالها التعبير عن واقع معين خلف ستار الرموز والأحداث التاريخية، وقد مثّلت الأسرة محور الرواية بحيث لا تخرج عناصرها وأحداثها عن أفراد العائلة، والتي صورها ككيان متناقض ومشتت، ولم يكن من بين تلك الأسرة فرد واحد لم يقع في الخطيئة، فهي رواية كئيبة لأسرة ضائعة ومتفككة، وقد أراد الكاتب أن يظهر أسباب هذا التفكك والضياع، وأهم هذه الأسباب هو النظام السياسي، إضافة إلى إبرازه لبعض العواطف والروابط العائلية التي أدت في بعض الأحيان إلى التفكك والعكس، فقد زاوج خليفة بين الحب والكره، والوفاء والخيانة والوطن والغربة، فنلاحظ من خلال الرواية أن الضياع الذي أصاب العائلة بدايته كانت سبب زواج الأم من رجل ريفي، هو ما أدى إلى كره عائلتها خاصة أختها ابتهال، جاء في الرواية« خالتي التي تكرهنا وتصفنا ببق الصيف وتشتم أمنا لقبول الزواج من رجل ريفي»[3]

وهي ابنة جلال النابلسي مدير محطة القطارات، وقد كانت الأم هي الأخرى بالكاد تستطيع العيش في شوارع ميدان أكبس، وتنظر إلى جاراتها من الريفيات نظرة احتقار وحاولت أن تعود أبناءها على حياة المدينة، جاء في الرواية« حزينة تنظر إليّا أشبه أبناء جيرانها ثيابي متسخة وشعري ملبد» بعد أن كانت تحافظ على نظافة منزلها وتشتكي دائما

[1] عبد الله ابراهيم، المتخيل السردي مقاربات نقدية في التناص والرؤى الدلالية، ط1، المركز الثقافي العربي، 1990 (د،ب)، ص18.

[2] ميلان كونديرا، ثلاثية حول الرواية فن الرواية، الوصايا المغدورة والسّتار تر: بدر الدين عرودكي، ط1، 2007، (د،ب) ص35.

[3] خالد خليفة، لاسكاكين في مطابخ هذه المدينة، ص121.

نقص الأكسجين، حيث ينظر إلى العنصر الريفي من خلال الرواية على أنه السبب في زرع الفوضى في أرجاء حلب، وما يرافقها من فقر وتطرف وإجرام، وبعد هذا الواقع المدمي الذي تعيشه هذه العائلة في حي الفقراء، تبقى الأم في تشكيها الدائم من الريفيين جاء في الرواية «اعتبر حديثها عن الريفيين باستخفاف دائم إهانة كبيرة لأسرته التي أيدت الانقلاب منذ لحظته الأولى»[1] وبعدها قرر زوجها الفرار وحده من هذه الحياة البائسة وكان ذلك مع امرأة أمريكية، هذا الأمر الذي أدى بالأم فيما بعد إلى الضياع والقهر حتى وفاتها.

وما نلاحظه من خلال قراءتنا للرواية، أن خالد خليفة لم يعتمد في سرده للأحداث على التسلسل الزمني، بل تبدو راويته وكأنها تبدأ بالنهاية لأنه ابتدأها بموت الأم ثم يسرد قصتها مع أطفالها وزوجها وعائلة أبيها ومجتمعها، هذا ما يدل على أن هذه الرواية كانت من نسج خياله، وهو تعبير عن الظلم والاستبداد الذي يراه في واقعه، وفي مجتمعه وهدفه من ذلك إبراز أثر السياسة على المجتمع، متجاوزا في ذلك الحد المطلوب، لأنه يصف لنا الواقع السوري عن طريق الأوضاع المزرية التي مرت بها هذه الأسرة، التي جميع أفرادها وقعوا في الخطايا، وظلوا في نهاية المطاف تائهين.

فهذه الأحداث كانت منتقاة من فضاء المتخيل للروائي السوري خالد خليفة الذي يصور التاريخ السوري المعاصر ببراعة وذكاء، متجاوزا في ذلك الواقع حيث نجد ما يدل على الواقع يتجسد في تلك المناطق والأماكن التي يتقصدها الكاتب من خلال الدراما التي كتبها وهي حقيقة موجودة في الواقع تمثلت في مدينة حلب، السليمانية، العراق، باريس والرياض والحدود التركية وهذا إضافة إلى بعض التواريخ وهي متعلقة بالشخصيات.

لم يقم الراوي بنقل الأحداث والتاريخ مباشرة، بل كانت بصمته واضحة في صنع الأحداث معتمدا على الإبداع الفني ، ويعتبر المتخيل عنصرا أساسيا في العملية الإبداعية لأن التجرد منه ينفي عن العمل الإبداعي فينته، وبذلك يظل المتخيل غير منفصل تماما عن الواقع، لأنه يعتبر ترميزا ومحاكاة له فالراوي في أثناء كتابته مهما ابتعد عن الواقع إلا أنه يظل يستعمل عناصره، أي العناصر التي خلقها الله سبحانه وتعالى التي لا خروج عنها فيمكن القول أن فضاء المتخيل هو صنع للظروف والسياقات من طرف الروائي

[1] خالد خليفة، لاسكاكين في مطابخ هذه المدينة، ص26.

معتمدا على العنصر الفني والجمالي الذي يكسب العمل الأدبية الذوق والتقبل من طرف المتلقي، وكي لا يكون تدوينا للوقائع كما هي عليه حقيقة.

* تسجيلات صوتية « المنهج الفني أقرب المناهج إلى طبيعة الآداب.

– المنهج الفني من بين مناهج النقد الأدبي والغالب في طبيعته وخصائصه.

– أن المنهج الفني من أقدم المناهج وفي الوقت نفسه من أحدث المناهج المعاصرة»[1] لأن الأدب يعتبر من الفنون، ولاستكناه جوهره وحقيقته، علينا بطبيعة الحال اتباع منهج فني فطبيعة الأدب طبيعة فنية لأن العمل الأدبي يقيم فني وجمالي، وغير مقيد بالصدق أو الكذب ولا بالصحيح أو الخاطئ، إضافة إلى أن المنهج الفني منهج مرتبط بالأدب لذا يعتبر من أقدم المناهج على الساحة الأدبية، وفي نفس الوقت من أحدث المناهج المعاصرة والرواية باعتبارها أحد الفنون الأدبية، فهي أيضا خاضعة للمنهج الفني، ونخص بالذكر الرواية الحديثة التي تمزج بين الواقع والخيال، هذا الأخير مرتبط بالكاتب أي أن الكاتب هو الذي يبدعه فنيا وجماليا، إضافة إلى أنّ« الأمر البارز في الرواية الفنية انكبابها على الواقع(..) حاملة رسالة جديدة هي التعبير عن روح العصر والحديث عن خصائص الإنسان»[2] أي أنها تقوم بتصوير حياة مجتمع من المجتمعات ووصفه عبر فترة زمنية معينة وصفا كليا وشاملا، وهذا ما نجده في النص الروائي الذي بين أيدينا، حيث صور خالد خليفة المجتمع الحلبي إبان الانقلاب السياسي، ففي هذا الشكل الروائي يعيد المبدع تشكيل ملامح عالم يماثل العالم الحقيقي.

[1] يوم دراسي، أ. عبد القادر طبيش، مداخلة بعنوان: المنهج الفني، يوم2018/4/25، المركز الجامعي، ميلة.

[2] بتصرّف، مفقودة صالح، المرأة في الرواية الجزائرية، ص8.

المبحث الثالث: دلالة المرأة والجنس والمكان.

تحظى المرأة بمكانة خاصة في الأدب العربي منذ القديم، وقد أقيمت حول موضوعها دراسات كثيرة ومتنوعة، لما للمرأة من أثر بارز في المجتمع، والرواية بصفتها النوع الأدبي الأكثر ارتباطا بالمجتمع، فقد وظفت العنصر النسوي بشكل مسهب وهذا ما تبدو عليه الرواية التي نحن بصدد دراستها، التي كان العنصر النسوي محورا أساسيا في تسلسل أحداثها، فيقول خالد خليفة:« من الصعب الدخول إلى أسرار هذه المدينة وإلى تفاصيل حياتها العائلية والاجتماعية إلا من خلال الأنثى» [1]

فيرى أن الأنثى هي السبيل للوصول إلى خفايا وأسرار المدينة، كما أنه أكثر في الرواية الحديث عن الجنس وأشار إلى الشدود الجنسي، وقد ركز على المرأة لأنها أكثر حساسية من الرجل في رؤيتها للأمور الحياتية وتفاصيلها كما أن خالد خليفة ركز على مدينة حلب واختارها لتكون مكانا لسرد تفاصيل أحداث روايته فنستنتج أن هناك ثلاث ركائز أساسية اعتمدها في تصوير مجتمعه، ومن هنا تبرز لنا ثلاث دلالات هي: دلالة المرأة ودلالة الجنس، ودلالة المكان.

1- **دلالة المرأة في الرواية:** مثلت المرأة في رواية لاسكاكين في مطابخ هذه المدينة عنصرا أساسيا وفعالا، فنلاحظ أن الفتاة سوسن وأمها تشكلان محور الأحداث عن طريق علاقاتهما العاطفية، فالأم التي أحبت العامل في السكة الحديدية وتزوجت به وفيما بعد هجرها هروبا من الحياة البائسة قرب محطة القطارات يقول:« استيقظت أمي من غيبوبتها الطويلة، جلست إلى طاولة الطعام المتهالكة القوائم، قرب نزار الذي يصدر طنينا ساكنا كدبابة صماء قرأت له أسطر رسالة كتبت لرجل تصفه بالصديق العزيز أن كل شيء قد انتهى، لم تعد تنتظر وعده لها بالرقص على أنغام الطانغو على سطح باخرة عابرة للمحيطات، تخلت عن كلمات رسائلها الماضية المشفرة، كتبت بوضوح أنه لا يمكن الوثوق برجال تفوح من جلودهم رائحة الجردان» [2] فالمرأة هنا هي مخلوق ضعيف مجبورة على تقبّل الخيانة والتخلي عن أحلامها وطموحاتها في الحب ليس بمحض إرادتها ولكن الواقع المضطرب هو الذي أدى بها هذا الضعف، فالمرأة إذن ضعيفة وضعفها

[1] الموقع الإلكتروني: www.ahram. Og.eg/...

[2] خالد خليفة، لاسكاكين في مطابخ هذه المدينة، ص9-10.

يجعلها تسلك سلوكا ملتويا بخلاف الرجل، لأنها بالنسبة للرجل ضعيفة لا تستطيع الصمود أمام بطشه وهجوه.

أما ابنتها سوسن التي أخذت دور الفتاة القوية والذكية وصاحبة الذوق المميزة، الذي يجعلها دائما تشعر بالفخر خاصة وأنها عشيقة القائد مندر الذي تجمعها به علاقة حب جاء في الرواية« تشعر بالرضا حين يهمس مندر في أذنها أنه يحبها حين يحتضنها بقوة»[1] فقد كانت ترى فيه صورة الزوج المستقبلي الذي ينبت عليه جميع أحلامها، فكان الزواج هدفها من علاقتها به، أما مندر فقد كان هدفه غير ذلك وإنما اتخذها حبيبة له مفتونا بجمال جسدها وأنوثتها، ولم يكن هدفه الزواج، وظلت سوسن وأمها يعيشان الوحدة.

وذكر الراوي شخصيات تسوية أخرى ثانوية إضافة إلى سوسن وأمها اللتان تعتبران شخصيتان رئيسيتان نريمان وابتهال، وهبة

نريمان: تمثل الصديقة المقربة للأم وشريكة عمرها.

ابتهال: تمثل الخالة التي كرهت الأم

هبة: تمثل صديقة سوسن

نستنتج من خلال الرواية أن المرأة أو الجنس الأنثوي قد بدأ يأخذ مكانة أساسية في هذا الجنس الأدبي على وجه الخصوص، فقد حاول خليفة تصوير معاناة المرأة العربية من آلام الفراق، والموات، والهجر الذي خلفته الحروب وأنظمة الحكم الفاسدة، التي زرعت بدور اليأس في المجتمع العربي، وقد ركز خليفة على المرأة لأنها الشعاع الذي يبعث بريق الأمل في المجتمع، وهي رمز للصبر والتحدي.

2- دلالة الجنس في الرواية: لم تغب المقاطع الذي تصور العلاقات الجنسية في الرواية بل على العكس فقد وظفت بكثيرة على شكل علاقات حميمية حتى أصبحت عنصرا أساسيا من عناصر الرواية جاء في الرواية«حين كانا في حلب أوائل الثمانينيات كانت تأتيه صباحا إلى غرفته في الفندق تختال الحراس وتندس بقربه في السرير تلاعبه وتنقر أرنبة أنفه تطلب منه إغماض عينيه كنجوم السينما تقبله بحرارة في شفتيه ورقبته تعري صدره وجزأه السفلي تقبل عضوه الذكري وخصيتيه وأضافر رجليه تثير فيه شهوة حارقة تخلع قميصها وترمي ملابسها كمجنونة فنلاحظ من خلال الرواية أن الرجل ينظر

[1] خالد خليفة، لاسكاكين في مطابخ هده المدينة، ص132-134.

إلى المرأة على أنها الجانب المثير للشهوة هذا إذا كانت نظرتنا سطحية أما إذا تعمقنا في تفكيرنا نجد كانت البداية والنهاية، وهذا ما يبرز دور المرأة في المجتمع العربي وما تعانيه في كل فترة من فترات حياتها تحت نظرة المجتمع لها.

كما صور أيضا معاناة الفتى الشاذ جنسيا من وراء غرائزه فمثل هذا عبر شخصية نزار جاء في الرواية« بعد بلوغه، أحس بطيف يخطف بصره مجموعة أحاسيس شبقة حولته إلى امرأة تشعر برغبة لا يعرف سرها»[1] الذي أصبح ضحية للرجال المغتصبين في مجتمع لا يعرف الرحمة ولا يعطي الإنسانية قيمة.

3- دلالة المكان في الرواية: أعني بالمكان الحيز الجغرافي الدي جرت فيه أحداث الرواية، والتي تعرفت عليها من خلال قراءتي للرواية، والأكيد أن الروائي لم يخترها عبثا وإنما اختارها لمكانتها في قلبه وعلاقتها بالموضوع المعالج، وهي مدينة حلب يقول خالد خليفة« حلب هي المكان الأثير لكل رواياتي وكلما حاولت الإبتعاد عنها والكتابة عن مدينة أخرى أجد نفسي عائدا إليها بحب»[2]

إذن حبه لمدينة حلب، جعله متمسكا بها في كتاباته، وقد ذكرها في الرواية على أنها المدينة الحبيبة لأفراد العائلة يقول:« خالتي ابتهال تحب كل ما هو حلبي»[3] فحبه لها كان واضحا من خلال الشخصيات في الرواية يقول أيضا«عادت إلى حلب مدينتها الحبيبة من أجل أولادها»[4]

فقد مثلت مدينة حلب بؤرة الرواية من حيث المكان، وقد عبر خالد خليفة عن حب مدينة حلب، أما عن ما صوره في هذه المدينة هي الحرب والدمار الذي قضى على أساليب العيش يقول« بجمل متناقضة امتدحت الريفيين وشتمتهم حين رأت المدير يتفهم آلامها أضافت العسكر قادمون لا توحي عيونهم بالثقة وافقها أن طعم الأيام المقبلة يشبه طعم اللفت»[5] فقد انتشر الظلم والاستبداد إلى درجة لا تتصور، وليست مدينة حلب وحدها بل العديد من العواصم والبلدان العربية كالعراق، التي شهدت الحرب الصليبية، ولم يكن وضعت الأمني بعيد عن الوضع في حلب.

---

[1] خالد خليفة، لاسكاكين في مطابخ هذه المدينة، ص93.

[2] الموقع الإلكتروني: .../www.ahram. Org.eg

[3] خالد خليفة، لاسكاكين في مطابخ هذه المدينة، ص19.

[4] المرجع نفسه، ص16.

[5] المرجع نفسه، ص16.

وقد ذكر الروائي عواصم أخرى هي كباريس، والرياض، وغيرها، وليس غريبا حين نجد الراوي يصور وطنه لأنه من المعروف أن الفرد العربية يعتز بانتمائه وأصله خاصة وأن سوريا أو الشام تحتل مكانة مرموقة في التاريخ الديني العربي، وأنها موطأ الأنبياء وبعض الديانات السماوية.

نستنتج أن للمكان أثر بارز في رؤية الكاتب في الرواية، لأن« الإنسان يعلم غريزيا بغريزته مكان خلاق، يحدث هذا حتى حين تختفي هذه الأماكن من الحاضر»[1] أي أن صورة المكان أو البيت تظل راسخة في الذهن، حتى وان اختفت من حاضر الإنسان مستقبله، إلا أنها تعود في أحلام يقظته، لأن لها قيمة وتأثير في التفكير.

[1] غاستون باشلار، جمالية المكان، تر، غالب هلسا ط2، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، لبنان، 1984 ص40.

خاتمة

ها وقد وصلت إلى نهاية بحثي المتواضع الذي سعيت من خلاله إلى التعرف أكثر على الواقع والمتخيل في رواية لاسكاكين في مطابخ هذه المدينة وعلى ضوء هذه الدراسة خلصت إلى مجموعة من النتائج يمكن تلخيصها في الآتي:

1- توصّلت إلى أن مصطلح الواقع يمثل العالم الحقيقي الذي ينتقي منه الروائي أحداثه وأن المتخيل لم يخرج عن عدة معاني كالظن والتوهم واليقظة إلا أن هناك اختلافا قائما بينه وبين مصطلحات الخيال والتخييل، رغم اشتمالها على الجدر نفسه إلا أنها لا تصب في معنى واحد ولكل منهم معناه الخاص.

2- وضح البحث أن العلاقة بين الواقع والمتخيل أضحت كعلاقة تستطيع القول أنها علاقة تكامل لأن كل منهما يكمل الآخر في إنتاج العمل الأدبي.

3- كما وضح بحثي أيضا أن الكاتب الروائي يلجأ إلى الخيال لسببين أولهما كشف زيف الأحزاب السياسية بصورة رمزية معتمدا على وصف الأوضاع الاجتماعية والثاني هو وصف هذه الأوضاع بطريقة فنية جمالية وإبداعية.

4- كما نلاحظ أن مصطلح الرواية هو ما كان خلاف العطش كما أنه يطلق أيضا على الذي يأتي القوم بعلم، أصبحت الآن تطلق على فن من الفنون الأدبية النثرية الحديثة.

5- كما خلص بحثي إلى أن الرواية جاءت كفن نقل عن الغرب ولم تكن وليدة للأدب العربي ورغم هذا فهي تتناول المواضيع المتناولة في الادب العربي، كحب الوطن وهذا يعني أنها لا زالت مرتبطة بالتراث العربي.

6- كما خلصنا أيضا إلى أن النقاد العرب يقرون بأن الرواية العربية هي فن مقلد عن الغرب ورغم حداثته في الوطن العربي إلا أنه لقى انتشارا وسعا وتقبلا من القراء.

7- كما استنتجت أيضا أن صاحب الرواية كان متأثرا بالأوضاع في مدينة حلب وكان هدفه من وراء كتابة الرواية هو تصوير تلك الأوضاع المتأزمة وذلك عن طريق توظيفه للمرأة والجنس والمكان وأن المرأة والجنس والمكان هما المحور الذي كانت تدور حوله الأحداث في الرواية.

قائمة المصادر والمراجع

- **المصادر:**

1. ابن منظور، لسان العرب، ضبطه وتفحه، د. خالد رشيد القاضي، ط1، دار صبح ، لبنان، ج4، 2006.
2. أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، تحقيق وضبط عبد السلام هارون، (د،ط)، (د،ب)، ج6، (د،ت).
3. أبو القاسم محمود بن عمر الزّمخشري، أساس البلاغة، (د،ط)، (د.ت).
4. الإمام أبي بكر عبد القادر بن عبد الرحمان بن محمد الجرجاني النحوي أسرار البلاغة، تحقيق محمود محمد شاكر، دار المدني، جدة، جمادى الأولى1412ه-1991م.
5. خالد خليفة، لاسكاكين في مطابخ هده المدينة، دار الآداب، (د،ط)، بيروت، 2007.
6. مجمع اللغة العربية، معجم الوجيز، (د،ط)، (د.ت).
7. مجمع اللغة العربية، معجم الوسيط، ط4، مصر، 2004.

- **المراجع:**

1. أحمد محمد عطية، الرواية السياسية، دراسة نقدية في الرواية السياسية العربية، (د،ط)، مكتبة مديولي، القاهرة، (د،ت).
2. إدريس الكريوي، بلاغة السرد في الرواية العربية، ط1، دار الأمان، (د،ب)، 2014.
3. آمنة بلعلى، المتخيل في الرواية الجزائرية من المتماثل إلى المختلف، دار الأمل،(د،ط)، (د،ت).
4. حسين خمري، فضاء المتخيل مقاربات في الرواية، ط1، منشورات الإختلاف، (د،ب)، 2002.
5. روجر آلان، الرواية العربية، تر، حصة إبراهيم المنيف، المجلس الأعلى للثقافة، 1997، (د،ط)، (د،ب)، ص19.
6. سعيد جبار، من السردية إلى التخييلية، ط1، دار الأمان،(د،ب)، 2012.
7. صلاح صالح، سرد الآخر الأنا والآخر عبر اللغة السردية، ط1 المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء المغرب، 2003.

8. عبد الله ابراهيم، المتخيل السردي مقاربات نقدية في التناص والرؤى الدلالية، ط1، المركز الثقافي العربي، (د،ب)، 1990.

9. عبد الملك مرتاض، في نظرية الرواية مجلة عالم المعرفة، الكويت، سنة1998.

10. غاستون باشلار، جمالية المكان، تر، غالب هلسا ط2، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، لبنان، 1984.

11. فاروق خورشيد، الرواية العربية، ط2، دار الشروق، (د،ب)، 1975.

12. فضيلة فاطمة درويش، سوسيولوجية الأدب والرواية، دار أسامة، ط1،(د،ب)، 2013.

13. محمد برادة وآخرون، الرواية العربية ممكنات السرد، ندوة مهرجان القرين الثقافي الحادي عشر2004 الكويت ط1 المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ص352.

14. محمد زكي العشماوي، دراسات في النقد الأدبي المعاصر، طبعة دار الشروق الأولى، (د.ب)، 1994.

15. محمد صالح سليمان، الرحلات الخيالية في الشعر العربي الحديث، منشورات الإتحاد، (د،ط)، (د،ب)، 2000م.

16. مصطفى عبد الغني، الاتجاه القومي في الرواية، (د،ط)، عالم المعرفة، الكويت، أغسطس1994.

17. مفقودة صالح، المرأة في الرواية الجزائرية، ط2، جامعة محمد خيضر بسكرة، الجزائر، 2009.

18. ميخائيل باختين، الخطاب الروائي، تر محمد برادة، دار الفكر، ط1، القاهرة، 1987.

19. ميلان كونديرا، ثلاثية حول الرواية فن الرواية، الوصايا المغدورة والسّتار تر: بدر الدين عرودكي، ط1، (د،ب)، 2007.

20. نادر أحمد عبد الخالق، الرواية الجديدة، بحوث ودراسات تطبيقية، ط1، دار العلم والإيمان، 2009.

21. نادر كاظم، المقامات والتلقي، ط1، دار فارس، (د.ب)، 2003.

22. نادر كاظم، تمثيلات الآخر صورة السود في المتخيل العربي الوسيط، ط1، دار فارس، (د،ب)، 2004.

23. نادر كاظم، تمثيلات الآخر صورة السود في المتخيل العربي الوسيط، ط1، دار فارس، (د ب)، 2004.

24. يوم دراسي، أ. عبد القادر طبيش، مداخلة بعنوان: المنهج الفني، يوم2018/4/25، المركز الجامعي، ميلة.

الرسائل الجامعية

1- أسماء بالفار، المتخيل في النقد الروائي الجزائري، مذكرة لنيل شهادة الماستر، 2015.

المواقع الالكترونية

1-* موسوعة ويكيبيديا الحرة www.wikepidia.org/wiki.

2-www.ahram. Og.eg/

فهرس الموضوعات

العنوان	الصفحة
مقدمة	أ
الفصل الأول: الواقع والمتخيل	
المبحث الأول: تحديدات ومفاهيم	7
1-مفهوم الواقع	7
أ. لغة	7
ب. اصطلاحا	8
2-مفهوم المتخيل	8
أ. لغة	8
ب. اصطلاحا	9
3-بين الخيال والتخييل والمتخيل	11
4-علاقة المتخيل بالواقع	12
5- سبب اللجوء إلى الخيال	14
المبحث الثاني: في الرواية العربية	16
1-مفهوم الرواية	16
أ. لغة	16
ب. اصطلاحا	17
2- نشأة الرواية العربية	17
3- الرواية في نظر النقاد	21
4- الواقع والمتخيل في الرواية	23
الفصل الثاني: الواقع والمتخيل في رواية لا سكاكين في مطابخ هذه المدينة	
المبحث الأول: دور المرجعيات الثقافية في بناء الواقع في الرواية (الثورة كحدث تاريخي)	26
1- المرجعية السياسية.	28

2- المرجعية الاجتماعية.	32
المبحث الثاني: فضاء المتخيل في الرواية وتجاوزات الواقع.	35
المبحث الثالث: دلالة المرأة والجنس والمكان.	40
1- دلالة المرأة في الرواية	40
2- دلالة الجنس في الرواية	41
3-دلالة المكان في الرواية	42
- خاتمة	45
- قائمة المصادر والمراجع	49
- فهرس الموضوعات.	51
- ملخص	-

ملخص

طرح هذا البحث الحدود بين ثنائية الواقع والمتخيل في رواية لاسكاكين في مطابخ هذه المدينة لخالد خليفة ولا يخفى أن الروائي عادة ما ينطلق إلى الواقع ليعيد تشكيله فنيا عن طريق الخيال والتصوير.

وقد عالج الفصل الأول مبحثين: المبحث الأول تناول الواقع والمتخيل وبعض المصطلحات التي تتقاطع مع مفهوم المتخيل وتناول أيضا العالقة بين الواقع والمتخيل وسبب اللجوء إلى المتخيل، أما المبحث الثاني فقد تناول الرواية نشأتها، ونظرة النقاد إليها.

وعالج الفصل الثاني هو الآخر ثلاث مباحث، تناول المبحث الأول: دور المرجعيات الثقافية في بناء الواقع في الرواية، وأما المبحث الثاني تناول فضاء المتخيل في الرواية وتجاوزات الواقع، وأخيرا تناول المبحث الثالث دلالة المرأة والجنس والمكان في الرواية.

Résumé

Cette recherche présente (ou se penche) l'interaction entre les deux cotés de la réalité et l'imaginaire dans le roman : **« pas de couteaux dans les cuisines de cette ville »** de l'auteur **:** Khaled Khalifa.

Et ce n'est pas un secret, que le romancier part généralement de la réalité pour la reconstruire par la décoration imaginaire.

Le premier chapitre a traité deux sujets (02) :

La première recherche a porté sur la réalité et l'imaginaire, et quelques termes qui se croisant avec le concept de l'imaginaire, et a traité aussi la relation entre la réalité et l'imaginaire et la raison du recours à l'imaginaire.

La deuxième recherche a traité le roman: sa genèse, critiques et leaders.

Le second chapitre a traité trois sujets (03)

Dans le premier : il a été question du rôle des référentiels culturels, et leurs contributions à la réalité dans le roman.

Alors que le deuxième a pour étude la sphère imaginaire dans le roman et les dépassements de la réalité.

Et enfin, la troisième recherche s'intéresse de la présence féminine (choix ou obligation) et aussi le sexe, et la logique spatiale dans le roman.